

# الأصل غير اليهودي للصهيونية<sup>أ</sup>

محمد ولد المي الياسيني<sup>ب</sup>  
ترجمة مسعد عرييد

تعرف وزارة الخارجية الإسرائيلية الصهيونية وتقدمها على أنها "حركة تحرر وطني" تهدف "إلى إعادة إقامة الشعب اليهودي" في وطنه ومواصلة السيادة اليهودية على أرض إسرائيل. كما تدعي أن الصهيونية جاءت كرد على "الحنين" اليهودي لصهيون (التي تعتبر مرادفة للقدس)، وعلى معاداة السامية التي تعتبر جوهر "المسألة اليهودية" (الجماعات اليهودية التي تقطن المجتمعات غير اليهودية)، والتي يكمن "حلها الوحيد" في بناء "دولة يهودية على أرض إسرائيل بأغلبية يهودية"<sup>1</sup>. واستنادا إلى هذا التاريخ الرسمي، فإن الآباء المؤسسين للصهيونية يشملون موسس هس الألماني (والذي اهتز لما يسمى القذف بجريمة الدم في دمشق عام 1844)، ليو بنسكر الروسي (الذي أخذت به صدمة المذابح في روسيا عام 1881)، وثيودور هرتسل الهنغاري (الذي اضطرب نفسيا نتيجة قضية دريفس في فرنسا عام 1896).

إن الإدعاء الكبير هنا هو أن اليهود هم وحدهم الذين ابتدعوا الصهيونية. فيزعم برنارد لويس (الذي يكال له المديح كعميد الدراسات الشرق أوسطية) بأن "أول مبشر عصري ب"الفكرة الجديدة التي تنادي ب"الإحياء" اليهودي في فلسطين كان حاخاما من البوسنة يدعى يهودا القلاي والذي تكونت لديه هذه الفكرة عام 1843. ويعتبر لويس مدينة فيينا مسقط رأس الصهيونية، وثيودور هرتسل الأب المؤسس لها، أما كتيب هرتسل "الدولة اليهودية" الصادر عام 1896 فيعتبره بداية تاريخ الصهيونية<sup>2</sup>. يكرر ناحوم جولدمان (الرئيس المؤسس للمؤتمر اليهودي العالمي) نفس الإدعاءات ويتتبع "الفكرة الصهيونية" إلى عام 1897<sup>3</sup>، في حين تعتبر كلوود دوفرنوي أن هرتسل هو "نبي" الصهيونية و"حجر الأساس الذي تقوم عليه البنية الصهيونية بكليتها"<sup>4</sup>. أما مارتن بيرتر (رئيس

<sup>أ</sup> نشرت هذه الدراسة في مجلة The Arab World Geographer Vol 5, No 1 (2002) pp 34-52. وتقوم مجلة كنعان (العدد 2003/113) بنشر هذه الترجمة باذن مسبق من المؤلف. وقد احتجت الجمعية الجغرافية الإسرائيلية ومركز سايمون ويزينثال الصهيوني على السماح بتقديم هذه الدراسة في الملتقى السنوي الثامن والتسعين لجمعية الجغرافيين الأمريكيين الذي انعقد بمدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا من 19 إلى 23 آذار (مارس) 2002 (2002) 37(5):2,4. كما تمت محاولة تحريف وتشويه محتوى هذا البحث في جريدة جروز الم بوست (20 مارس 2002) وعلى موقع الانترنت لمركز سايمون ويزينثال الصهيوني (20 مارس 2002) وفي جريدة لوس أنجلوس تايمز (21 مارس 2002).

<sup>ب</sup> أستاذ الجغرافيا في، Department of Geography, Geology and Anthropology, Indiana State University, Terre Haute, Indiana, USA

تحرير مجلة الجمهورية الجديدة) فقد حاول التعمق أكثر في مقالة بعنوان "الصهيونية في عامها المئة" والتي كتبها عام 1997، إلا أنه لم يذهب إلى أبعد من منتصف القرن التاسع عشر في بحثه عن أصل الصهيونية، حيث كتب أن موسى هس كان أول صهيوني "عصري". وقد أبدى بيرتزر بعض المكابرة عندما ذهب إلى الإدعاء بأن "دولة إسرائيل قد ولدت عندما أمر الصهاينة البريطانيون بالرحيل" الفوري من فلسطين و "أن إسرائيل كانت كيانا معاديا للإمبريالية"<sup>5</sup>.

إن العديد من كتب تدريس الجغرافيا السياسية في الولايات المتحدة تردد المزاعم الصهيونية التي ذكرناها أو تلزم الصمت حيالها فلا تدخل مفردة "الصهيونية" في فهرس جغرافيتها السياسية (الوفيرة وذات الصلة الوثيقة بالموضوع)<sup>6</sup>. وحيث أنه من المستعصي إثارة الشكوك حول أهمية الصهيونية (كفكرة سياسة تقتضي فتح الأراضي والإستيلاء عليها وعلى تاريخ أهلها) بالنسبة للجغرافيا السياسية، فإنه بمقدور المرء أن يفترض أن العديد من الجغرافيين يقبلون المزاعم الصهيونية أو يلزمون الصمت حيالها خوفا من احتمال توجيه تهمة معاداة السامية لهم. وتستند هذه التهمة على أن "الأفراد أو الأمم" التي تقف ضد إسرائيل أو الصهيونية، إنما هي "معادية للسامية"<sup>7</sup>. ما زال هذا السلاح السياسي المقرون بالشعور المتأصل بالذنب لدى الأوروبيين تجاه يهود بلادهم يضع إسرائيل والصهيونية فوق كل نقد في العالم الغربي. ففي الآونة الأخيرة اضطرت بعض الشخصيات البارزة إلى الاعتذار عن تصريحات وتعليقات "غير سليمة سياسيا" كانت قد أدلت بها مثل زوجة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير (شيري)، مؤسس شبكة الأخبار التلفزيونية الأمريكية تيد تيرنر، قسيس الكنيسة المعمدانية الجنوبية في الولايات المتحدة بيل جراهام، وعضو الكونكرس الأمريكي جيمس موران<sup>8</sup>.

لكن الهجوم المروع في الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام 2001 جاء ليسلط الأضواء على الصهيونية حيث أورد إبن لادن وآخرون من تنظيم القاعدة أن "ذريعتهم" في أحداث الحادي عشر من أيلول هما: (1) دعم الولايات المتحدة للصهيونية وإسرائيل، و(2) الوجود العسكري للولايات المتحدة في شبه الجزيرة العربية. إن مركزية الصهيونية في أحداث الحادي عشر من أيلول و"الحرب ضد الإرهاب" التي تلتها لا بد أن تحث الجغرافيين السياسيين الأميركيين على إعادة النظر في مواقفهم التقليدية حول التاريخ الرسمي الصهيوني. لقد وصمت مثل هذه المواقف وما زالت المناهج التدريسية الأميركية والسياسة الأميركية حيال الشرق الاوسط. ففي أعقاب تلك الأحداث تم استدعاء برنارد لويس (الصهيوني البارز وهو في العقد التاسع من عمره) من "تقاعده الرسمي منذ عام 1986" ليتبوأ منصب مستشار الشرق الاوسط لدى حكومة الولايات المتحدة كما

تم تقليده مقعدا في برنامج "لقاء الصحافة" الواسع الانتشار للشبكة التلفزيونية للأخبار<sup>9</sup>. تقدم هذه الدراسة محاولة تستند إلى مصادر أولية وثانوية لإعادة النظر في نشوء الصهيونية على ضوء الجغرافيا التاريخية والجيوسياسية لهذه الحركة. وستتمحور هذه الدراسة حول الأسئلة التالية: أين ومتى ولدت الصهيونية ومن ابتدعها؟ كما سوف تظهر أنه منذ عهد الإصلاح الديني فإن العديد من مخططات الاستيطان الصهيوني لفلسطين قد رأت النور وتطورت على أيدي أوربيين غير يهود (متدينين وملحدين على حد سواء) كانوا قد سبقوا كلا من يهودا القالي (1798 - 1868) و موسى هيس (1812-1875) وثيودور هرتسل (1860-1904) الذين صادف ظهورهم مجرد بداية صهيئة اليهود أنفسهم وانخرطهم المباشر في فكرة الصهيونية والتي كانت في أصلها وأساسها فكرة غير يهودية.

## زعماء الإصلاح الديني نظروا إلى اليهود كحلفاء محتملين ضد الكاثوليكية ومهتدين احتياطين للديانة البروتستانتية الجديدة

شكل الصراع بين الإصلاح الديني ومعاداته الحدث الأيديولوجي الرئيسي في الجيوسياسة الأوروبية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. فقد وقع اليهود الأوربيون خلال عصر الإصلاح ما بين الكاثوليك والبروتستانت في أوربا الغربية من جهة وبين الكاثوليك والمسيحيين الأرثوذكس في أوربا الشرقية من جهة أخرى<sup>10</sup>. فقبل أن تطالب الحركة الإصلاحية بإحلال الكتاب المقدس مكان البابا كمرجع روحي، لم تتواجد في الفكر الكاثوليكي التقليدي فكرة "عودة اليهود" إلى فلسطين ولا مفهوم "الأمّة اليهودية"<sup>11</sup>. لقد ابتدعت الحركة الإصلاحية هذه الأفكار وطورت فيما بعد ثيولوجيا الآخرة والتي تضمنت اعتناق اليهود للمسيحية كمقدمة للمجيء الثاني للمسيح. وشددت حركة الإصلاح الديني بشكل خاص على الأصول الفلسطينية للمسيحية من أجل التقليل من قدر ادعاءات ومزاعم الكاثوليكية الرومانية. فقد أعار البروتستانتيون اهتماما أكبر للعهد القديم وبني إسرائيل التوراتيين والقدس وذلك نكاية في الكاثوليك و اهتمامهم بالعهد الجديد والبابا وروما<sup>12</sup>. وفي الوقت ذاته اندفعت القوى الأوروبية الكبرى متنافسة على استخدام اليهود والصهيونية كغطاء ديني وورقة توت لمخططاتها الهادفة الى استعمار الأراضي المقدسة في فلسطين في قلب الامبراطورية العثمانية الآخذة بالاضمحلال والعالم العربي الناشئ.

كان مارتن لوثر (1483-1546) مؤسس الحركة الإصلاحية أول من أبدى اهتماما سياسيا ولاهوتيا باليهود. فهو راهب ألماني وأستاذ في علم اللاهوت في جامعة ويتنبرغ.

وكان محروما من الكنيسة بأمر البابا ليو العاشر (1520) كما اعتبره الامبراطور تشارلز الخامس (1521) خارجا عن القانون بعد أن نشر لوثر نقده للكنيسة الرسمية (وخاصة لبيعها صكوك الغفران) والمكوّن من 95 أطروحة وثبته بالمسامير على باب كاتدرائية ويتنبرغ يوم 21 تشرين الأول (أكتوبر) 1517. لقد رأى لوثر في اليهود حلفاء مرشحين ضد الكاثوليكية ومهتدين احتياطين للديانة البروتستانتية الجديدة. وفي كتيبه "يسوع المسيح ولد يهوديا" (1523)، ينصّب لوثر اليهود ورثة حقيقيين لسلالة بني إسرائيل التوراتيين وأقارب للمسيح بالدم (مع أن العديد من الأعمال العلمية المعاصرة قد أكدت على الأصل غير السامي وغير الإسرائيلي وغير الفلسطيني لليهود المعاصرين<sup>13</sup>). لقد مجدّ لوثر في كتيبه هذا اليهود وكأنه أراد أن يغرس عقدة نقص دينية دائمة وشعور بالذنب بين أقرانه المسيحيين والذين وصموا اليهود بالأشرار آنذاك واعتبروهم رافضين ومضطهدين وقتلة المسيح. كتب مارتن لوثر:

سوف أقتبس من الكتاب المقدس الأسباب التي دفعتني للإعتقاد بأن المسيح كان يهوديا مولودا للعذراء، والتي ربما أستطيع بواسطتها استمالة واجتذاب بعض اليهود لإعتناق المسيحية... أنا أمل أنه إذا تعامل المرء بأسلوب لطيف مع اليهود وشرح لهم الكتاب المقدس بحرص، فإن الكثيرين منهم سوف يصبحون مسيحيين حقيقيين ويعودون إلى عقيدة أجدادهم من الأنبياء والآباء... علينا أن نتذكر، عندما يأخذ بنا الإعتزاز بموقفنا، أننا مجرد أغيار (غير يهود) حيث أن اليهود هم سلالة المسيح. إننا غرباء بالنسب في حين أنهم أقرباء بالدم وبالعمومة والأخوة للرب. وعليه، فإن اليهود هم في الحقيقة أقرب منا إلى المسيح كما يقول القديس بولس في "الرومانيون 9". لقد أظهر الله هذا دوما بأفعاله حيث أنه لم يمنح لأية أمة من الأغيار هذا الشرف السامي كما منح اليهود، ولأنه لم يظهر بين الأغيار لا آباء توراتيين ولا حواريين ولا أنبياء بل عدد قليل جدا من المسيحيين الحقيقيين.... وعليه، فإنني أتوسل إلى البابويين الأعزاء، حين يسأموا من شجبي كهرطوقي، أن يغتتموا الفرصة لشجبي كيهودي<sup>14</sup>.

وفي عمل آخر محاب لليهود و متحد للبابا والكنيسة الكاثوليكية الرسمية، قام لوثر بازالة تلك الأسفار من العهد القديم التي تسمى ابوكريفا البروتستانتية<sup>ت</sup> والتي لا تقبلها الشريعة اليهودية كجزء من الكتب العبرية المقدسة. ومنذ ذلك الحين استثنى الانجيل البروتستانتى هذه الأسفار الأربعة عشر واعتبرها ابوكريفا أي أسفار مشكوك في أصالتها. غير أن لوثر عاد وتراجع عن موقفه حيال اليهود وذلك ربما بعد محاولة دس السم له (التي تورط

<sup>ت</sup> عبارة عن اربعة عشر سفرا تلتحق عادة بالعهد القديم ولا يعترف البروتستانت بصحتها ولا بصحة من كتبها - المترجم.

فيها طبيب يهودي بولاندي) عام 1525 وكذلك لأسباب تعود إلى قرار جون فريدرك بإبعاد اليهود عام 1536<sup>15</sup>. قام لوثر بعد ذلك بالتهجم على اليهود فنعتههم بـ "الحشرات الطفيلية" ومعابدهم بـ "أعشاش الشيطان للعجرفة والأكاذيب"<sup>16</sup>. وفي كتيبه "حول اليهود وأكاذيبهم" (1543)، انتقد لوثر اليهود للتبجح بسلالتهم ونسبهم واعتبارهم أن الخلاص سيكون بناء على العرق لا على الفضيلة:

هناك أمر واحد يتبجح به [اليهود] ويتفاخرون بدون حدود ألا وهو تحدرهم من أصل أوائل الناس على هذه الأرض من إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقة ويعقوب ومن الآباء الإثني عشر أي من شعب إسرائيل المقدس... مقارنة بهم وفي نظرهم فإننا نحن الأغيار (غوييم) لسنا بشرا، وفي الحقيقة لا نكاد نستحق منهم أن يعتبروننا ديدانا حقيرة حيث أننا لسنا من ذاك الدم والنسب والمولد والسلالة الشريفة والنبيلة. تلك هي حجتهم، وأنا أعتقد حقا أنها أكبر وأقوى دافع لكبريائهم وتبجحهم... يتوجب عليّ أن أرد، قبل كل شيء، بأن السؤال هنا يدور حول ما إذا كان نبيل الدم بحد ذاته يحمل تلك المصادقية أمام الله بحيث يكون المرء أو يصبح، عندئذ، شعب الله<sup>17</sup>.

### التنافس بين البروتستانت واليهود على الوراثة العرقية والدينية لبني إسرائيل التوراتيين

تعكس كتيبات لوثر تنافسا متزايدا بين المسيحيين البروتستانت واليهود على الوراثة الأثنية أو الروحية لبني إسرائيل التوراتيين. لقد طور هذا التنافس (الذي بلغ أوجه لاحقا في البناء الاجتماعي لما يسمّى بالجنس الآري و الجنس السامي) خرافة من يسمون بالقبائل الضائعة، والذين وجدتهم الاسبانيون والانجليز والكتاب الاستعماريون الأوائل في السكان الأصليين للقارة الأميركية في حين أن معاهد الدراسات اللاهوتية والأنثروبولوجيا، إضافة إلى الفرضيات الأنثروبولوجية والأثنية الخاطئة، عممت هذه الخرافة في كافة أنحاء المعمورة<sup>18</sup>. في تلك الحقبة ذاتها (ما بين 1550 و 1750) أخذ أغلب اليهود في اوربا الغربية يملكون بتجربتهم الإصلاحية أيضا: القبلانية اليهودية<sup>19</sup> التي طورت مفاهيم "الخصوصية اليهودية" و "الدم اليهودي" (وحتى الحامض الأميني اليهودي في هذه الأيام) كمبرر لتميز اليهود عن غيرهم<sup>19</sup>. لقد استمرت سذاجة المؤرخين الأوربيين حول أصل اليهود ردحا طويلا بعد مارتن لوثر: كتب هنري ميلمان عام 1866 ان اليهود "ربما كانوا الجنس الوحيد النقي الذي يمكن له أن يتفاخر بالتاريخ البعيد"<sup>20</sup>.

<sup>18</sup> القبلانية هي فلسفة دينية سرية عند ابحار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط. وهي مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً - المترجم. (منير البعلبكي: المورد - قاموس عربي - انكليزي، ص 141 دار العلم للملايين، بيروت، 1997)

في خضم هذا البحث الحثيث عن الأسلاف والأصل القومي، قام مؤرخ العهد الأليزابيثي وليم كامدن بنبذ بروتس (حفيد حلبات حصان طروادة والذي يعتقد أنه أقدم جد معروف من السلف البريطاني) واختيار جومر (حفيد نوح) كأقدم بريطوني<sup>٢١</sup>. وبالمثل كتب ايليت سامس الأستاذ بجامعة كامبردج كتابا عام 1676 بعنوان "أسلاف بريطانيا القدماء ينحدرون من الفينيقيين"<sup>21</sup>. وما أن حل القرن التاسع عشر حتى كانت الحركة الانجلو-اسرائيلية قد قطعت شوطا كبيرا في ادعائها المتشدد بأن الانجليز كانوا هم الأحفاد الساميين الحقيقيين لقبائل بني إسرائيل الضائعة إلى درجة أن الملكة فيكتوريا (1837-1901) اقتنعت بأنها سليلة داوود التوراتي. وتواصلت تجليات هاجس النزعة الاسرائيلية البريطانية المستحوزة بالسلالة التوراتية أو السامية إلى حد العام 1924 حين أصدر لورانس وادل كتابه "الأصل الفينيقي للبريطونيين والسكوتلانديين والانجلوساكسونيين"<sup>22</sup>. وكان من نتيجة هذه المنافسة في البحث عن تاريخ توراتي أو أصل سامي، أن تطورت العلاقات البروتستانتية اليهودية منذ ذلك الحين ضمن حلقة مفرغة من الحب والكراهية، متمثلة بالدعم المعاصر للصهيونية ودولة إسرائيل من قبل العديد من الأصوليين الانجلييين والذين ربما يضمرون مشاعر العداء لليهود. نسوق على سبيل المثال الإعتذار الذي تقدم به القس المعمداني الانجيلي بيلي جراهام (من جنوب الولايات المتحدة الأمريكية) لليهود حول المحادثة التي أجراها مع الرئيس الأميركي نيكسون في مكتب هذا الأخير عام 1972 حول سيطرة اليهود على وسائل الإعلام الأميركية<sup>23</sup>. من الناحية الأخرى، يستشهد إسرائيل شهاق ونورتن مزفنسكى بحادثة تدلل على كراهية الأصوليين اليهود "للمسيحية والمسيحيين":

أزالت السلطات التربوية الإسرائيلية إشارة الزائد (+) الدولية من كتب الرياضيات الابتدائية التي تدرس في الصف الأول في المدارس الإسرائيلية. وكانت الحجة المزعومة أن إشارة الزائد هذه، والتي هي أيضا إشارة الصليب، قد تقسد الأطفال اليهود الصغار دينيا. وبدلا من الصليب الذي يثير مثل هذه الإهانة، استعاضت السلطات الإسرائيلية بحرف (T)<sup>24</sup>.

ما زال يتواجد، حتى يومنا هذا، بعض بقايا ما يمكن تسميته الآن "الردة الاثنية" للبريطانيين بين الجماعات الأميركية البيضاء التقوقية الانفصالية التي، كالعديد من اليهود، ابتدعت خرافة لانتماء المفترض الى سلالة بني إسرائيل التوراتيين. ويبدو أن

<sup>٢١</sup> البريطانيون هم واحد من الشعوب التي سكنت بريطانيا قبل الغزوات الانجلوساكسونية - المترجم.

أزمة الهوية لدى الطرفين مازالت تغذى الأدبيات المتعلقة بالكرهية في الولايات المتحدة مثل تلك التي نجدها في كتاب "معجم الكراهية الجديد" من منشورات مركز سايمون ويزينثال وكذلك كتاب دافيد ديوك "التفوقية اليهودية"<sup>25</sup>. فعلى سبيل المثال يزعم بعض أعضاء "حركة الهوية المسيحية" أنهم ينحدرون من بني إسرائيل التوراتيين في حين أن اليهود هم أبناء إبليس<sup>26</sup>. وبالطريقة نفسها تتبجح الحكومة الإسرائيلية زاعمة أن اليهود المعاصرين ينحدرون من أصل بني إسرائيل وتنتشر التصريحات التي تكاد تنتحل "حقوق التأليف" للتوراة بالإدعاء بأن اليهود "منحوا العالم كتاب الكتب الأزلي"<sup>27</sup>. أما إدوارد هاين فيكتب في كتابه "تماثل القبائل الإسرائيلية العشر الضائعة مع الانجلو- سيلتو - ساكسونيين" ما يلي: "لعل ما لا يمكن الصفح عنه هو التلميح بأن اليهود هم تجسيد ليهودا وبنيامين". ثم يزعم بأن "الانجلوساكسونيين متماثلون مع القبائل العشر الضائعة لأن كلمة "ساكسونيين" مشتقة من عبارة "أبناء إسحاق"<sup>28</sup>.

### لم يبتدع اليهود الصهيونية بل انجلترا الانجيليكية هي التي ابتدعتها

بدأت صهيينة النخبة الانجليزية و نزعة حب اليهود حين نصب الملك هنري الثامن نفسه على رأس كنيسة انجلترا (الكنيسة الانجيليكية) عام 1534 وأصدر لاحقا أوامره بإيداع نسخة من التوراة والانجيل باللغة الانجليزية في كل كنيسة في انجلترا. وبظهور التفسير الحرفي (بدون الرجوع إلى رجال الدين) للكتاب المقدس وتأثيره على الثقافة الانجليزية ومع التركيز على العهد القديم أخذت حركة الاصلاح الانجليزية تشابه عملية تهويد زائفة للشعب البريطاني. وربما أخذت الثقافة الانجليزية التي اخترقتها، في تلك الفترة، تفسيرات جديدة وحرفية للكتاب المقدس، تنظر الى مفردات مثل "الساميون"، "العبرانيون"، "الاسرائيليون" و "اليهود" كمفردات مرادفة لبعضها البعض. وفي العام 1589 أصبحت الصهيونية ظاهرة للعيان في انجلترا عندما أعدم حرقا بالنار رجل اسمه فرانسيس كيت لإعتناقه الصهيونية ("الإحياء") التي كانت تعتبر آنذاك هرطقة<sup>29</sup>. وقد واصلت الصهيونية البريطانية نموها رغم الأحداث العارضة المعادية لليهود مثل قضية الطبيب الخاص اليهودي للملكة اليزابيث الأولى والذي "اتهم بالخيانة العظمى ومحاولة تسمم الملكة"<sup>30</sup>.

بلغت الصهيونية ذروة جديدة مع ظهور البيوريتانيين والذين يعتبرهم بعض الصهاينة يهودا من الناحية العملية<sup>31</sup>. وقد استلهم البيوريتانيون الانجليز وتأثروا جزئيا بمواقف كالفين من الثروة وبتعاليمه التي تقول بأن النجاح المالي والكدح (المسمى بأخلاقيات العمل) هما أعظم وصايا الله<sup>32</sup>. كما آمن الكالفينيون بنظرية القضاء والقدر (والتي تقول

بأن الله قد اختار الناس مسبقا بعضا منهم للخلاص وبعضا للإدانة الأبدية). واقترح البيوريتانيون المتعصبون تحويل يوم الرب الى يوم السبت واتخذوا لأنفسهم أسماء من العهد القديم، كما أن بعضهم اعتنق اليهودية في حين أنكر البعض الآخر الطبيعة الإلهية للمسيح. إلا أن الأهم من هذا كله هو أنه تم السماح لليهود بالعودة إلى إنجلترا عام 1655 (قام الملك أدوارد الأول بطردهم عام 1290 بعد أن ألغى كافة الديون التي كانت لهم على الناس). وفي عام 1753 أقرّ البرلمان البريطاني (بمجلسيه) قانونا بمنح الجنسية لكل اليهود الذين أقاموا في بريطانيا لمدة ثلاث سنوات. ورغم أن هذا القانون قد حظي بالموافقة الملكية، إلا أنه تم الغاؤه لاحقا بسبب الحسد التجاري البريطاني والتحيّز الديني<sup>33</sup>. وفي مثال آخر، طالبت بعض الأصوات المعادية لليهود التخفيف من عبء المملكة حيال الشؤون الإيرلندية ببيع جزيرة أيرلندا لليهود<sup>34</sup>. على أية حال، فإن الميول البروتستانتية المحبة لليهود والتي بادربها لوثر في ألمانيا عام 1523 استمرت تضرب جذورها في عمق إنجلترا الانجيليكانية كما اتضح في خطاب الإيرل ميث الذي وجهه إلى ما يقارب ألفين من رجال الدين والأعيان الانجليز في لقاء في مبنى قيلدهول عام 1890: "ألم يكن ربنا ذاته يهوديا؟ لولا فضل هذا العرق لما كان للمسيحية أن تظهر. إن الفضل في التوراة، بعهديها القديم والجديد، يعود إلى اليهود"<sup>35</sup>. أما في الولايات المتحدة اليوم فيستطيع المرء أن يقرأ تكرارا ملصقات على العربات تعبر عن أقوال مماثلة: "إن ربي نجار يهودي".

أخذت الصهيونية البريطانية في التطور وسط تحولات جيوسياسية واقتصادية أوسع. وقد اشتملت أهم هذه التحولات على انتقال مركز الثقل الاقتصادي في أوربا من شواطئ البحر المتوسط (خاصة الشواطئ الإيطالية) إلى المحيط الأطلسي (الشواطئ الهولندية والانجليزية على وجه الخصوص) والسيطرة المتنامية للدول البروتستانتية على البحار في أعقاب تدمير الأسطول الحربي الإسباني على يد البحرية البريطانية وكذلك بسبب العواصف عام 1588. وقد لاذ اللاجئون (ومنهم الكثير من اليهود) بالفرار من الاضطهاد الديني الذي احتدم خلال وفي أعقاب ثورة هولاندا ضد اسبانيا حيث اندفعت أفواج المهاجرين من كافة أصقاع العالم الكاثوليكي إلى امستردام حيث تم إنشاء أول مصرف وطني في التاريخ (بنك هولاندا) عام 1604<sup>36</sup>. وازدهرت التجارة الانجليزية - الهولندية في القرن السابع عشر حيث بدأت المركنتيلية بالتبلور متخذة شكل تجارة محمية من قبل الشركات المسجلة مثل الشركة الانجليزية لتجار المشرق (1581-1825) الشركة الانجليزية لشرق الهند (1600-1874) والشركة الهولندية لشرق الهند (1602-1798)<sup>37</sup>. وفي غضون حرب التجارة الانجليزية - الهولندية الواقعة بين عامي 1652 و 1654 سدد الانجليز ضربة قاسية للاقتصاد الهولاندي حين قرروا حصر المستوردات



المسموح لها بدخول إنجلترا بتلك التي تقوم بشحنها سفن انجليزية أو سفن الدول المنتجة لتلك السلع<sup>38</sup>. أما أوليفر كرومول (المنتصر في الحرب الأهلية التي دامت ثماني سنوات والذي قام بمحاكمة وإعدام الملك تشارلز الأول) فقد رحب باليهود لأنه كان مصمما على استقدام التجار اليهود من امستردام إلى لندن بغية تقوية التجارة الانجليزية في وجه البرتغال واسبانيا حيث تقيم جاليات يهودية عرفت بالثراء والمهارات التجارية وشبكة العلاقات التجارية الخارجية<sup>39</sup>. ومع حلول الثورة الفرنسية عام 1789 وما تبعها من تألق نجم نابليون في أعقاب غزوه لمصر وفلسطين وإعلانه اليهودي ولجت الصهيونية الانجليزية والفرنسية إلى مرحلة جديدة من المزاحمة الحادة لاستمالة يهود اوربا وتوظيف المسألة اليهودية في السياسات الداخلية والخارجية.

### الصهيونية الفرنسية ومحاولة نابليون تنفير اليهود من حكامهم الاوروبيين والعثمانيين

مثل نابليون إلى حد كبير، بحكم كونه حاكما اوربيا ملحدًا، موقفا وسطيا بين المواقف الاصلاحية الدينية والمعادية لها حيال اليهود<sup>40</sup>. وقبل ارتقاء نابليون إلى مركز القوة، كانت الثورة الفرنسية عام 1798 قد أعققت اليهود الفرنسيين حين قررت الجمعية العمومية الفرنسية يوم 24 كانون الأول (ديسمبر) 1789: "يتمتع غير الكاثوليكين بكافة المناصب المدنية والعسكرية مثلهم في ذلك مثل المواطنين [الكاثوليك]"<sup>41</sup>. وقد لاحقت هذه السياسة الاجتماعية النظام الاوربي القديم طيلة عهد نابليون. ففي ظل النظام الاوربي النابوليوني أصدر العديد من الحكام أوامر بفتح المنعزلات (الجيتوهات) ومنح اليهود الحريات المدنية. ومن الأمثلة على ذلك الأوامر التي أصدرها الدوق بادن الأكبر عام 1809، وملك بروسيا عام 1812، ودوق ميكلينبرغ اشورين عام 1812، وملك بافاريا عام 1813<sup>42</sup>. إلا أنه مع انهيار نابليون حصل تراجع في انعتاق اليهود وأعيد فرض القيود عليهم في البلاد المعادية للإصلاح الديني مثل الدول البابوية والنمسا وألمانيا (حيث نشبت أعمال الشغب المعادية لليهود عام 1818)<sup>43</sup>. وعلى الرغم من سياسة نابليون (أو ربما بسببها) في تحرير اليهود، فقد اتضح أنه كان عازما على استخدامهم كطابور خامس عبر اوربا والامبراطورية العثمانية. كان نابليون على يقين بالانهيار الوشيك للامبراطورية العثمانية و شكل ذلك حافزا لحملة لغزو مصر وفلسطين 1798-1799 إضافة إلى أن الحملة كانت جزءا من مخطط لتدمير القوة الانجليزية. كتب نابليون في دليل النظام العسكري لجيشه يوم 22 حزيران (يونيو) 1798:

إنكم على وشك أن تحققوا فتحاً يستعصي تقدير آثاره على الحضارة والتجارة العالميتين. وسوف تسددون ضربة لانجلترا كقيلة باصابتها في أشد المواقع إيلاماً، في انتظار اليوم الذي تقومون به بتسديد ضربة الموت القاضية لها<sup>44</sup>.

كاد نابليون أن يعتنق الإسلام خلال إقامته في مصر كما أعلن أنه صديق للإسلام والنبى محمد "الذي أكنّ له الحب" حسب قوله<sup>45</sup>. وقرر نابليون غزو فلسطين بعد أن حطمت انجلترا أسطوله على شواطئ الاسكندرية. وقد قيل إن قوات نابليون قتلت خلال حملة يافا ما يقارب 4000 جندي وعددا كبيرا من السكان المدنيين (بما فيهم يهودا فلسطينيين) كما أنها أصدرت أوامر بأعدام حوالي 2300 تركي بعد أن ألقى هؤلاء أسلحتهم<sup>46</sup>. وحين كان ينتظر الاستيلاء على عكا والقدس (والذي لم يتحقق له)، أعدّ نابليون إعلاناً يعد فيه اليهود منحهم الأراضي المقدسة واصفا إياهم "الورثة الحقيقيين لفلسطين". وفي هذا الاعلان تجلّت المنافسة الفرانكو-انجليزية حين قال نابليون إن فرنسا "تعرض عليكم [أي على اليهود] في هذا الوقت، وخلافاً لكل التوقعات، إرث إسرائيل". ثم تابع قوله: "إن فرنسا لا تتاشدكم احتلال هذا الوطن، كلا، بل مجرد الإستيلاء على ما تم احتلاله وبضمانات ودعم تلك الأمة، والمحافظة عليه ضد كل الغازين"<sup>47</sup>. وبهذا الإعلان اعتبر "كل يهودي" مسبقاً عميلاً سرياً لنابليون<sup>48</sup>. كما شكّل هذا الاعلان عنصراً هاماً في دعاية نابليون لاستمالة يهود أوروبا لما كان معروفاً عن الرجل من الحاد وانتهازية اسطوريّتين. فقد قال نابليون يوماً لمجلس الدولة:

يعود الفضل في إنهاء حرب فاندني إلى اعتناقي الكاثوليكية، أما الفضل في تثبيت أقدامي في مصر فيعود إلى اعتناقي الإسلام، وبتأييدي لسيادة البابا المطلقة حظيت بتأييد الكهنة في إيطاليا. وإذا قدر لي أن أحكم أمة من اليهود فسوف أعيد بناء هيكل سليمان<sup>49</sup>.

استدعى الامبراطور نابليون عام 1806 مائة وأحد عشر مفوضاً من أعيان اليهود في الجمعية العمومية من كافة أنحاء الامبراطورية الفرنسية وإيطاليا. كما قدم الدعوة لكل التجمعات اليهودية في أوروبا لإيفاد ممثليها إلى اجتماع السنهادرين الأعظم الذي التأم شمله عام 1807. وقد أثارت الدعوة لانعقاد هذا المؤتمر ورطانة لغتها حيطة أعداء نابليون (روسيا والنمسا على وجه الخصوص) حيال الولاء السياسي لسكانهم اليهود ذوي الأعداد الكبيرة. وطلب نابليون من زعماء اليهود أن يناقشوا عرضاً فرنسياً مقترحاً بمنح الجنسية لكل اليهود إذا ما تعهدوا بالدفاع عن فرنسا في حربها ضد روسيا وفي معركتها

الاقتصادية مع انجلترا بهدف منع السفن الانجليزية من حق استخدام الموانئ الاوربية. لقد انهمك نابليون في تصميم خدمة مصالح اليهود حتى يتسنى له:

الإلتفات لمصالحه بتقديم تضحية بخيسة بالكبريا الوطني مقابل الإستفادة من نظام المراسلة السريع والواسع الإنتشار بين اليهود في كافة أنحاء العالم والمتقدم على نظام المراسلة والسعاة عند نابليون نفسه، وكذلك مقابل الحصول على الشبكات والتشعبات السرية لتجارتهم والتي لا تتحكم بمصادر المعادن الثمينية فحسب بل جل التجارة الداخلية في اوربا والتي ربما قامت بانتهاك نظامه القاري<sup>50</sup>.

لكن في حين رحب اليهود بتحرير نابليون لهم، فقد رفضوا صهيونية نابليون حيث نجد أن مجموعة يهودية في براغ هي الوحيدة التي رحبت بإعلانه بينما أعاد اليهود الفرنسيون تذكير نابليون بأن "باريس هي اوراشليمانا". وأسوأ من ذلك، أعلن السنهادرين الأعظم في ديباجة قراراته المذهبية أن اليهود لم يعودوا يشكلون أمة متوحدة. أما في موسكو فقد عقد المجلس الكنسي مقارنة بين اجتماعات السنهادرين الأعظم ومحاكم صلب المسيح سيئة الصيت وسخر من احتمال اعلان اليهود المسيح في شخص نابليون<sup>51</sup>. وكما ذكر أعلاه، فإن العديد من المضايقات التي فرضها الاوربيون (خاصة الألمان والروس) على اليهود خلال عهد صعود نابليون وبعد هزيمته على أيدي الجيوش الانجليزية - البلجيكية والروسية في معركة واترلو في بلجيكا يوم 18 حزيران (يونيو) 1815 ونفيه إلى جزيرة القديسة هيلينا حيث وافته المنية عام 1821، هذه المضايقات تم فرضها من أجل التصدي لمحاولات نابليون لإقصاء اليهود عن حكامهم الاوربيين. من ناحية أولى، يبدو أن اعلان نابليون حول تبني الصهيونية وتأسيس الجمعية العمومية للأعيان اليهود والسنهادرين الأعظم كلها قد بلورت ما أطلق عليه لاحقا المسألة اليهودية (الجماعات اليهودية التي تقطن مجتمعات غير يهودية) وجعلت منها مثارا للنقاش في السياسات الاوربية المحلية ومصدرا للمنافسة بين القوى الاوربية على ما يسمى المسألة الشرقية (والتي تعنى في جوهرها تقسيم الامبراطورية العثمانية المنهارة بين القوى الاوربية الاستعمارية). ومن ناحية أخرى، فإن إعلان نابليون حول الصهيونية وتأسيس جمعية أعيان اليهود والسنهادرين الأعظم كلها مثلت خريطة الطريق وأرست المعالم الأولية ل"الجمعية لندن من أجل تعزيز المسيحية بين اليهود" (1809) وأفكار ليو بنسكر حول "المؤتمر الوطني اليهودي" و"المعهد الوطني اليهودي" (1882) و"الجمعية اليهودية للإستيطان" (1891) لمؤسسها بارون موريس دي هيرش ومخططات ثيودور هرتسل ل "جمعية اليهود" و"الشركة اليهودية" (1896) وكذلك "دولة اسرائيل" المعاصرة وذراعيها "المؤتمر اليهودي العالمي" و"المنظمة الصهيونية العالمية"<sup>52</sup>.

واجهت الصهيونية الانجليزية صدامها الرئيسي الثاني مع الصهيونية الفرنسية لدى صعود حليف فرنسا في مصر، محمد علي، وما تلى ذلك من صراع دام عقدا كاملا (1831 - 1841) مع الامبراطورية العثمانية وحلفائها من البريطانيين والبروسيين والنمساويين. واستمرت صهيونية نابليون مع صعود نابليون الثالث إلى السلطة في فرنسا (1848 - 1870)، وحرب القرم (1854 - 1856)، وشق قناة السويس (1854 - 1869)، وإنشاء التحالف الإسرائيلي العالمي في باريس عام 1860. وقد كتب المسيحي الفرنسي ابرام فرانسوا بتافيل مذكرة بعنوان "واجب الأمم في إعادة الصفة القومية إلى الشعب اليهودي". كما نشر ارنست لاهران (الكاثوليكي والسكرتير الخاص لنابليون الثالث) نيابة عن اليهود مناشدته الشهيرة بعنوان "المسألة الشرقية الجديدة: بناء القومية اليهودية"<sup>53</sup>. وقد كانت تلك المناشدة مصدر إلهام لمؤسس هس (1812-1875) اليهودي البروسي الهارب من القانون والمقيم في فرنسا آنذاك بتأليف كتابه "روما والقدس". كانت الحكومة البروسية قد أصدرت حكم الإعدام بحق مؤسس هس عام 1849 إلا أنه لاذ بالفرار إلى جنيف. وعندما طالبت الحكومة البروسية تسليمه لقضائها هرب هس مرة أخرى ووجد ملجأه هذه المرة في باريس عام 1853<sup>54</sup>. كان هس أحد أوائل الزعماء اليهود الذين جذتهم الصهيونية الفرنسية في وقت أصرّ فيه اليهود على رفض الصهيونية كما في عهد نابليون الأول. وقد خاطب هس اليهود قائلا: "بدون بلد فإنكم أبناء غير شرعيين للبشرية"<sup>55</sup>. وقد أدّى تركيزه على "الصراع العرقي" أكثر من "الصراع الطبقي" إلى صدام مباشر مع معاصره كارل ماركس. كانت الفكرة الأساسية في كتاب "روما والقدس" أن اليهود سيبقون دوما غرباء. وإن قامت بعض الأمم بتحريرهم لدوافع إنسانية فإن هذه الأمم لن تحترمهم أبدا<sup>56</sup>. وقد حث هس (الذي عرف في فرنسا بالحاخام الشيعي مؤسس) اليهود أن يحافظوا على ولائهم للإستعمار الفرنسي على غرار ولائه هو لذلك الإستعمار: "إنه لمن مصلحة فرنسا أن يقوم شعب متفان في ولائه للقضية الفرنسية باستيطان الطريق المؤدي إلى الهند والصين"<sup>57</sup>. لقد عمل مؤسس هس لصالح فرنسا كما عمل الحاخام هيرش كاليش لصالح بروسيا.

لم تتوفر للحركة الصهيونية أية قيادة يهودية رغم المحاولات الانجليزية والفرنسية المتكررة، منذ عهد الإصلاح الديني حتى صعود نابليون الثالث إلى السلطة في فرنسا والشروع بحفر قناة السويس. ولعل ما يضيف المزيد من التدايل على الأصل غير اليهودي للصهيونية، هي تلك الحقيقة البسيطة التي تقول بأن أفكار "العودة" كانت قد نمت أولا في إنجلترا (والتي لم يكن فيها سكان يهود آنذاك) بدلا من ألمانيا وبولاندا أو روسيا (حيث تقيم أغلبية يهود اوربا والعالم). فقد مرّ ما يقارب من مائة عام منذ عهد اوليفر

كرومول حتى بلغ عدد اليهود اثني عشر ألفا في إنجلترا، كما مرت مائة عام أخرى ليلبغ عددهم خمسة وعشرين ألفا في حين أن الإحصاء السكاني للامبراطورية الروسية لعام 1897 يظهر على أن عدد اليهود قد بلغ في تلك السنة 5,189,401 يهوديا (أي ما يعادل 4.13% من مجموع سكان الامبراطورية)<sup>58</sup>.

### المتطلبات الامبريالية والدوافع الدينية تصوغ وتدفع الصهيونية البريطانية

تقدم بربارا تاكمان في كتابها "الكتاب المقدس والسيف: إنجلترا وفلسطين منذ عصر البرونز إلى بلفور" تحليلا متماسكا للتناغم والتعايش المشترك للعبة المتبادلة بين الدوافع الامبريالية والدينية داخل الحركة الصهيونية البريطانية منذ أيام اوليفر كرومل والبيوريتانيين، مروراً بدوافع اللورد بالمرستون واللورد شافنتسبري وصولاً إلى دوافع بلفور ووايتسمن. فقد اتجه الاستعمار البريطاني بأنظاره نحو الهند (درة التاج البريطاني) بعد أن خسر المستعمرات الأميركية وربما كان الطريق المؤدي إلى الهند هو الأمر الأكثر أهمية. أما حملات نابليون العسكرية لغزو مصر وفلسطين عام 1798 - 1799، والإستيلاء البريطاني على مالطا عام 1799، والغزو الفرنسي للجزائر عام 1830، والسيطرة البريطانية على عدن (اليمن) عام 1839، إضافة إلى تآكل قوة العثمانيين، كل هذا أدى إلى احتدام التنافس الانجليزي - الفرنسي على المسألة الشرقية والطريق المؤدي إلى الهند. لقد اعتقد صانعو السياسة الخارجية البريطانية بأن الحفاظ على الوحدة الجغرافية للامبراطورية العثمانية الضعيفة والطبيعة كان هو أفضل السبل لحماية الطريق إلى الهند من الأخطار الفرنسية والروسية. أما الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830، ومحاولة محمد علي بناء دولة إسلامية مستقلة تشمل مصر وسوريا وشبه الجزيرة العربية، فقد أدى كل ذلك إلى تفاقم أزمة اوربية حيال المسألة الشرقية دامت طيلة عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر. وقد خمدت نيران هذه الأزمة باسترداد العثمانيين لسوريا وشبه الجزيرة العربية وإرضاء محمد علي بولاية متوارثة في مصر. هكذا أصبحت الفرصة سانحة لبريطانيا لمحاكاة وتقليد سياسة نابليون تجاه اليهود في اوربا والإفصاح عن مخططات إقامة دولة يهودية في فلسطين تحظى على الأقل بموافقة ضمنية من القوى الاوربية الرئيسية الأخرى. وعلى حد تعبير أحد مراسلي لندن تايمز "إن مقترح زرع الشعب اليهودي في أرض آبائهم تحت حماية القوى الخمس لم يعد مجرد أمر تخميني بل أصبح اعتبارا سياسيا جدياً"<sup>59</sup>.

عمل سكرتير الدولة اللورد بالمرستون بتعاون وثيق مع اللورد شافنتسبري (رئيس جمعية تعزيز المسيحية بين اليهود) على صياغة السياسة البريطانية الصهيونية في وقت لم

تتواجد فيه حركة يهودية قابلة أو قادرة على "العودة" الى فلسطين. وحيث أنه لم يكن هناك بروتستانت في فلسطين أو في أي جزء آخر من الامبراطورية العثمانية، فقد عملت بريطانيا الانجيليكية على وضع اليهود العثمانيين تحت حمايتها الخاصة، مثلما حاولت روسيا وفرنسا توفير "حماية" مماثلة للارثودكس والكاثوليك العثمانيين في الأراضي المقدسة. منذ ذلك الحين يمكن اعتبار الصهيونية البريطانية أهم إرسالية تبشيرية للبروتستانتية في الأراضي المقدسة. فقد عيّنت بريطانيا في آذار (مارس) 1838 مساعداً لِقنصلها في القدس والذي سرعان ما قدّم إلى القنصل العام في الاسكندرية إحصاء لليهود في فلسطين مقدراً عددهم آنذاك بـ 9690 يهودياً<sup>60</sup>. أما الأسقف الانجيلي الأول فقد وصل إلى القدس عام 1842<sup>61</sup>. هذا وقد تم منح القنصل المساعد السلطة القضائية "في كافة البلاد ضمن الحدود القديمة للأراضي المقدسة". وهكذا شكّل تعيين هذا الأخير الخطوة الأولى في الاستراتيجية البريطانية المصممة بعناية في استخدام اليهود للهيمنة الامبريالية بعد أن فشل نابليون في تحقيق الهدف ذاته. وفيما يلي اقتباس من مجلة بريطانية صادرة عام 1838 والذي يزيل الستار عن مخطط صهيوني بريطاني لتوطين اليهود في فلسطين "من أجل الحفاظ" على الامبراطورية البريطانية:

إن الإهتمام البائن للعيان والمتنامي في هذه المناطق والإستثمار الأكبر في رأس المال البريطاني واحتشاد غفور المسافرين البريطانيين والأجانب من كل بقاع المعمورة، قد حثّ وزير الدولة للشؤون الخارجية على إيفاد ممثل لحكومتنا بشخص نائب القنصل. وقد أبحر هذا الرجل متجهاً نحو الإسكندرية في نهاية شهر أيلول (سبتمبر) حيث ستكون القدس مقر إقامته الدائمة، إلا أن سلطته القضائية ستشمل كافة البلاد الواقعة ضمن الحدود القديمة للبلاد المقدسة، وهكذا يكون مفوضاً كما كان في المملكة السابقة لداوود والأسباط الإثني عشر. إن تربة ومناخ فلسطين ينفردان بتكيفهما للإنتاج الزراعي المطلوب للإيفاء بحاجات بريطانيا العظمى، كما يمكن الحصول على أفضل القطن جودة وبوفرة لا تضاهي، أما الحرير والفوه<sup>٥</sup> فهما منتوجا البلاد الرئيسيّان، ويظل زيت الزيتون، كما كان دوماً، الثروة الحقيقية للبلاد. وهكذا يصبح الأمران الوحيدان المطلوبان إذن هما رأس المال والمهارات: فوجود إداري بريطاني وتعزيز أمن الممتلكات الذي سيقوم هذا بتوفيره سيغريهم [اليهود] لمغادرة هذه الجزر والتوجه لفلاحة فلسطين. وسيأخذ اليهود الذين سيعمدون لفلاحة ذاك البلد والذين سيجدون في القنصل الانجليزي وسيطاً بين شعبهم والباشا، بالعودة بأعداد غفيرة وسيصبحون مرة ثانية مزارعي

<sup>٥</sup> نبات تستخرج منه مادة تستخدم في الصباغة - المترجم.

يهودا والجليل ... لقد أدرك نابليون جيدا قيمة التحالف العبري وسعى لإعادة إنتاج مشهد السنهداريم القديم في العاصمة الفرنسية والذي إذا ما تمتع بقوة وعطف الامبراطور، لكان بوسعه أن يسن الشرائع والقوانين لعدد كبير من اليهود في كافة أرجاء المعمورة، وأن يقدم العون له دون ارتياب في مخططاته المتهورة ضد بولاندا والشرق... إن الذي صممه نابليون في عنفه ومطمحه ظانا بأنه سيتم "تدمير الأمم وليس مجرد قلة من الناس"، نستطيع نحن أن نقوم به بحكمة وشرعية من أجل صيانة امبراطوريتنا<sup>62</sup>.

أصدرت بريطانيا في آب (أغسطس) 1836 تعليماتها إلى سفيرها في تركيا بحث السلطان على السماح لليهود اوريا "بالعودة" إلى فلسطين. ونشرت تايمز اللندنية في آذار (مارس) وآب (أغسطس) 1840 المزيد من التفاصيل حول "مذكرة حول عودة اليهود" موجهة إلى القوى البروتستانتية في شمال اوريا ودول شمال أميركا (فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وايرلندا، وليم فريدريك الثالث ملك بروسيا، فريدريك وليم ملك هولاندا، جون تشارلز الرابع عشر ملك السويد والنرويج، فريدريك السادس ملك الدانمرك، ارنست اغسطس ملك هانوفر، وليم ملك ورتمبرغ، والأمراء والحاكمين في ألمانيا وكانتونات الفيدرالية السويسرية المتقبلة للديانة الاصلاحية وولايات أميركا الشمالية<sup>63</sup>. "تحت" المذكرة "القوى التي تمت مخاطبتها على اعتبار ما قد يصبح الواجب المتوخى للعالم المسيحي البروتستانتية تجاه الشعب اليهودي في هذا الجدل القائم حاليا في الشرق"<sup>64</sup>. وتعبير "الجدل" أو الخلاف هذا يشير إلى حادثة اختفاء كاهن كاثوليكي، الأب توماس، في أحد شوارع دمشق بالقرب من دكان حلاقة يملكه يهودي، حسب رواية شاهد عيان رآه هناك يوم 7 شباط (فبراير) 1840. تم نتيجة لذلك اعتقال الحلاق اليهودي وتعذيبه. وكانت التهمة الموجه إليه هي أن اليهود قتلوا الأب توماس حسب شعائرهم مستنزفين دمه الذي استخدموه في احتفالات عيد الفصح<sup>65</sup>. وهكذا نقلت حادثة دمشق هذه حدة النزاع بين حركة الاصلاح ومعارضيه من اوريا الى الديار المقدسة في فلسطين.

خلفا لإعلان نابليون العلماني لليهود بأنهم "الورثة الشرعيون لفلسطين"، فإن المذكرة البروتستانتية (التي خاطبت اليهود بضمير الغائب) تستشهد بآيات من أسفار التكوين والخروج ومثى واشعيا وارميا لتذكّر الملوك البروتستانت بأن اليهود "إخوتنا بالختان" وأنهم "شعب متميز" وأن الله "قد ميّزهم وضمهم بعهد" وبأن "لا فعل من أفعالهم مهما كان جائرا ومتمردا يمكن أن يلغى أو يبطل هذا العهد". فبمثل هذه "الشريعة التي لا يمكن إبطالها خاطب الرب إبراهيم بما يخص أرض فلسطين، لقد منحت نسلك هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر العظيم، نهر الفرات". وتنتهي المذكرة بالمناشدة التالية والمستلهمة

من وعد كورش (سيروس) لإعادة المسيبين كما ورد ذلك في آخر الاصحاح 36 من سفر أخبار الأيام الثاني:

كما تحركت روح سيروس، ملك الفرس، من أجل بناء هيكل الرب الذي كان في اوراشليم (الآيتان 22 و 23 من الاصحاح 36 من سفر أخبار الأيام الثاني) فمن منكم أنتم أصحاب المراتب العليا والأقوياء بين كل الأمم سينفذ الإرادة المقدسة لرب السماء، قائلاً لاوراشليم "سيتم بناؤك" وللهيكل "سيتم إرساء أساسك"<sup>66</sup>.

تم توقيع المذكرة، دون ذكر أي اسم، بعبارة "وقع وختم في لندن في الثامن من كانون الثاني (يناير) من عام ربنا 1839 باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب وبالنيابة عن الكثيرين الذين ينتظرون استرداد إسرائيل". وفي إشعاره لاستلام المذكرة، أشار اللورد بالمرستون "إلى رسالة ومذكرة من بعض رعايا صاحبة الجلالة الذين يولون اهتماماً شديداً لرفاهية ومستقبل اليهود المتوحي". كما أنه لاحظ أن الملكة "سرت بالغ السرور باستلامها" المذكرة. وفي نفس العدد من تايمز اللندنية الصادر في 26 آب (أغسطس) 1840، نشرت رسالة إلى المحرر ذيلت بتوقيع إسم مختصر (ف.ب.) تنثى على "التعبير العام عن الاهتمام بالأمة اليهودية الذي أثارته المعاناة الجديدة لإخوانهم في دمشق". تصف الرسالة اليهود بأنهم:

معرضون لنزوات وقسوة الأمم التي يقطنون ديارها، يهربون من الإضطهاد في أمة ليواجهوا معاملة مشابهة في أمة أخرى، ليس لديهم من مدينة يلجأون إليها طلباً للأمان ولا بقعة واحدة يدعون أنهم يملكونها، إنهم في حالة يرثى لها أكثر من الهندي في الأدغال، أو العرب في الصحراء. فلطائر البري عشه، وللتغلب كهفه، وللشجر بلادهم، أما إسرائيل فليس لها إلا القبر. هل لهذه الحالة أن تستمر؟ إنهم لا يعتقدون ذلك..... هناك أسباب سياسية تكمن خلف الأوصاع الراهنة في روسيا وتركيا ومصر والتي تجعل من مصلحة بريطانيا وأمم أوربية أخرى أن يعيدوا يهوداً لأصحابها الشرعيين سواء بالإقتناء أو بالمعاهدات<sup>67</sup>.

لقد عارضت الصهيونية البريطانية اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون داخلها وحرصت على انفصالهم بحجة أنهم كانوا متميزين. فقد نشرت التايمز اللندنية يوم 24 كانون الثاني (يناير) 1839 رسالة مطوّلة دون ذكر اسم الكاتب ("من مراسل" ربما كان شافتسبري) بعنوان "حالة ومستقبل اليهود" يهاجم الكاتب فيها فكرة وعملية ادماج ("ملغمة") وتجنيس اليهود في مجتمعاتهم وتصف "تجمعهم الطائفي الصغير بأنه كنيسة



وشعب الله"، ويدعو إلى مصير "أكثر تجانسا" "للأبناء إبراهيم" الذين يقول فيهم سفر الأرقام 23:9 "الشعب الذي سيسكن منفردا بنفسه والذي لن يحسب بين الأمم"<sup>68</sup>. وفي نفس الوقت، أمر شافنيسبري جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود ببناء كنيسة انجيلية في القدس "على جبل صهيون نفسه إن أمكن ذلك"<sup>69</sup>. كما أنه أكد لبالمرستون أن الصهيونية "ستكون الوسيلة الأسرع والأقل كلفة" لاستعمار سوريا وبأنه لن يطلب من الضامنين أن يقدموا أية مبالغ مالية، وأن "المنافع الناجمة عنها (أى الصهيونية) ستعود إلى العالم المتحضر بأجمعه"<sup>70</sup>. كما قدم شافنيسبري المزيد من التفاصيل للتدليل على أن خطة استيطان اليهود لفلسطين لن تتسبب للخزينة البريطانية بأية تكلفة:

سيعود [اليهود] على حساب نفقاتهم الخاصة ودون مخاطر إلا تلك التي تحيق بهم، وسوف يخضعون لنمط الحكومة القائم حيث أنه ليس لديهم أية نظريات مسبقة مرضية، وحيث أنهم قد تدربوا في كل أماكن تواجدهم الأخرى على الطاعة الضمنية للحكم الاستبدادي، فإنهم سيسلمون بالملكية الراهنة للأرض في أيادي ملائكتها الفعليين، وسيكتفون بالحصول على حصة من منتوجاتها بالوسائل الشرعية في الإستثمار والشراء. وحيث أنهم منفصلون، كما هو حالهم، عن كل شعوب الأرض و لن يستغيثوا بأي تعاطف قومي أو سياسي أو دعم عندما يضلوا السبيل، فإن الضمانة التي أقترح إدخالها على المعاهدة التي سيجري تنفيذها تحت الحماية الخاصة لفتاقل أمم متعددة ونوابهم، ستكون كافية لتوفير الحماية لهم في ممارسة حقوقهم<sup>71</sup>.

أنشأ الصهاينة البريطانيون عام 1804 جمعية فلسطين في لندن بهدف الحصول على معلومات عن جغرافية وسكان ومناخ وتاريخ الأراضي المقدسة ومن ثم نشرها. وكان هذا جهدا جديا ومنظما من أجل إعادة كتابة (وفي حالات عديدة تشويه) الجغرافيا التاريخية لفلسطين من وجهة نظر البروتستانتية الصهيونية وحدها. وفي هذا الصدد فقد طلب من الباحثين أن يمتثلوا بمبدأين هاميين لإرشادهم في أبحاثهم حول الأراضي المقدسة: (1) تجنب أي اتصال ممكن مع الأديرة وهيئات الرهبان الكاثوليك، و(2) تفحص كل المواقع على ضوء الكتاب المقدس الموضوع بين أيديهم<sup>72</sup>. وقد أخذت منشورات هامة بالظهور ونقل الأبحاث والمعلومات عن فلسطين التي تمت بفضل العون المالي البروتستانتى ابتداء ب "برسائل من مصر وايدوم<sup>ع</sup> والأراضي المقدسة" التي أصدرها اللورد ليندسي والتي كانت الأولى في سيل من كتب الرحالة إلى الأراضي المقدسة والتي بلغ عددها معدل أربعين كتابا سنويا لفترة أربعين سنة<sup>73</sup>. وقد ظهرت

<sup>ع</sup> ايدوم اسم يطلق على مملكة قديمة واقعة في جنوب البحر الميت - المترجم.

الفكرة التي اتخذت شكل الإنتداب البريطاني في فلسطين فيما بعد، للمرة الأولى في المقالة التي ذكرت أعلاه في مراجعة اللورد شافتسبري لكتاب ليندسي والتي نشرت في كانون الأول (ديسمبر) 1838. توضّح هذه المقالة كيف أن الصهيونية ستخلف لبريطانيا "عددا كبيرا من متمنيي الخير في كل شعب تحت السماء" (خصوصا بين ملايين اليهود في روسيا). كما شنت المقالة هجوما على الكاثوليك والارثودوكس "المهاجمين الرئيسيين لصهيونيتنا" والذين "ينتقصون من قدر العهد القديم بتفضيلهم العهد الجديد بشكل حصري وازدرائي" والذين "ينسبون اسم الكتب المسيحية المقدسة إلى الأناجيل وأعمال الرسل فقط"<sup>73</sup>.

لكن صوت اليهود المعادين للصهيونية مثل إحدى المشكلات التي واجهتها الصهيونية البريطانية. وقد عبر عن هذا الموقف ادوين مونتان وزير الهند في الحكومة البريطانية ومن ثم تسرب هذا الصوت الى الصحافة بفضل اسكندر ومونتفيور حيث كان الأول سكرتير هيئة المندوبين اليهود والثاني رئيسها. ورغم جهود شافتسبري والكولونيل تشارلز تشرشل لاجتذاب موسس مونتفيور (الذي أوفد إلى فلسطين ومصر عام 1838 حاملا معه خطة لشراء الأراضي والذي طالب عام 1841 بتنظيم التمثيل الدبلوماسي اليهودي)، فإن القادة اليهود الانجليز استمروا في اعتبار "الصهيونية ضلالا مجنونا لجيش من المتسولين والمهوسين" وأنها قد تقوض تمتع اليهود بالمواطنة في الدول الغربية والتي حصلوا عليها بعد عناء كبير<sup>74</sup>. ولحل هذه المعضلة أشار الكولونيل تشارلز هنري تشرشل، القنصل البريطاني في سوريا، عام 1841 إلى شرطين اثنين لا بد منهما لنجاح الصهيونية: "أولا أن يأخذ اليهود أنفسهم بزمام الأمر بشكل تام وبإجماع أصواتهم. وثانيا، أن تقدم لهم القوى الأوروبية العون في مساعيهم هذه"<sup>75</sup>. إلا أنه عندما طلب من هيئة المندوبين اليهود في لندن أن تبادر بالقيادة، رفضت هذه الهيئة خطة تشرشل مكتفية لذاتها بدور الدعم السياسي أو المساندة للصهيونية البريطانية<sup>76</sup>. ولدى الاصطدام بهذه الصعوبة في إقناع اليهود سياسيا، أخذت "جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود" تتجه نحو تهويد الصهيونية وصهينة اليهود والمزيد من التركيز على يهود روسيا واوربا الشرقية.

تأسست "جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود" في أوائل عام 1809 كرد واضح على سنهادرين باريس الأعظم الذي أعلن نابليون قيامه عام 1807. وبحلول عام 1841 كانت هذه الجمعية قد عينت يهوديا منتصرا، مايكل سولوموني اسكندر، ليحتل منصب أسقفها

<sup>73</sup>المقصود هنا الكتب الاربعة الاولى في العهد الجديد التي تتحدث عن حياة المسيح وتعاليمه وموته ثم قيامته وصعوده الى السماء وهي اناجيل يوحنا ومرقص ولوقا ومثى - المترجم.

الانجيليكي في القدس<sup>77</sup>. وقد توخت الجمعية تعليم "اليهود كتبهم المقدسة" وأعمالهم وتوزيع هذه الكتب والأعمال في كافة أنحاء العالم حيث أنها قامت خلال العامين السابقين ( لعام 1838) ببيع ما يقارب من 5400 نسخة [عبرية من العهد القديم] بالإضافة الى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم وكراسات وأعمال أخرى. وقد قدرّت هذه الجمعية أنها تحتاج إلى ما يقارب 20 ألف نسخة سنويا من أجل تثقيف يهود العالم حول الصهيونية<sup>78</sup>. كما كان للجمعية 23 فرعا في اوربا والشرق و49 مبشرا ووكيلا (24 منهم كانوا من اليهود المنتصرين) و 10 مدارس (اثنتان منهما في لندن وثمانية في ولاية بوسن)، علاوة على أنها عمّدت العديد من اليهود (عبر اوربا وروسيا) والذين أخذوا الآن "بالتبشير بالعقيدة التي كانوا قد دمروها في يوم ما"<sup>79</sup>. وقد حطت الجمعية بأنظارها على يهود العالم، والذين يفترض أن عددهم قد بلغ ستة ملايين عام 1871<sup>80</sup>. أخذت الصهيونية البريطانية، بالإضافة إلى ذلك، بالربط بين الدين والسياسة في شخص لويس واي (المحامي وعالم اللاهوت) والذي تجول في فرنسا وهولاندا وألمانيا وزار روسيا حيث اطلع على الأوضاع الحياتية لليهود هناك. ويذكر أن القيصر الروسي اسكندر أبدي اهتماما بالخطة التي رسمها لويس واي لتوطين اليهود المعمدين في جنوب روسيا وبمذكرته التي أصدرها في أيلول (سبتمبر) 1818 بعنوان: "مذكرة حول حالة بنو اسرائيل"<sup>81</sup>. وهكذا أصبح المطلوب في هذه المرحلة هو توفير آليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين حسب مخطط أكثر تفصيلا ودقة.

### المخطط الصهيوني للمقدّم جورج جولر لتهدئة سوريا والشرق بإقامة مستوطنات يهودية في فلسطين

بعد فشل الكولونيل تشارلز هنري تشرشل في محاولة استدراج اليهود إلى الصهيونية، اتجهت بريطانيا إلى المقدم جورج جولر (1796-1869) بهذه المهمة. تبوأ جولر منصب حاكم جنوب استراليا بين الاعوام 1838 و 1841. وخلال فترة ولايته هذه تم توطين المجرمين البريطانيين بمعدل 180 محكوما شهريا<sup>82</sup>. وبحكم كونه إداريا عسكريا محنكا وخبيرا في الإستعمار وحيث أنه أنشأ مستعمرات استخدمت لتنفيذ أحكام العقوبات الجنائية في استراليا، فقد كان من المتوقع منه أن يساهم في إقامة مستوطنات يهودية في فلسطين. أصدر جولر عام 1845 تقريرا مفصلا بعنوان "تهدئة سوريا والشرق: ملاحظات ومقترحات عملية لتعزيز إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين، العلاج الأكثر اقتصادا وعقلانية لبؤس تركيا الآسيوية". قام جولر بزيارة الأراضي المقدسة عام 1849، وتقاعد من الخدمة العسكرية عام 1850، وفي عام 1852 أنشأ "جمعية تعزيز المستوطنات اليهودية في فلسطين" والتي تطورت لاحقا لتصبح "صندوق

فلسطين<sup>83</sup>. وقبل أن نشرع بخطة جولد، دعنا نلقي نظرة سريعة على السياسة البريطانية الاستعمارية الشائنة في "تحويل رجال عديمي الجدوى في بلد ما إلى مواطنين ناشطين [مستوطنين] في بلد آخر"<sup>84</sup>. كانت بريطانيا قد شرعت عام 1650 بقبض وترحيل "الأشخاص الفاسقين والخطيرين" من البريطانيين إلى المزارع الانجليزية في أميركا. وكانت الغاية من سن قانون الإبعاد عام 1718 أن يشكل رادعا للمجرمين وأن يوفر للمستعمرات والمزارع القوة العاملة عن طريق إصدار أحكام ترحيل (قد تصل إلى سبع سنوات من الترحيل إلى أميركا) ضد مرتكبي السرقات الكبيرة والصغيرة أو أية جريمة سلب أو اختلاس للنقود أو السلع أو الممتلكات المنقولة. وقد تم ترحيل الآلاف من المجرمين البريطانيين (عبر تلك الرحلة البحرية العسيرة وغير الصحية والخطرة والتي كانت تستغرق شهرين أو ثلاثة) خلال القرن الذي سبق الثورة الأميركية والتي وضعت حدا لنقل المجرمين البريطانيين إلى المستعمرات الأميركية.

سنت بريطانيا قانون الإبعاد عام 1784 بعد أن حط الكابتن جيمس كوك رحاله على الشواطئ الأسترالية عام 1770 وفي أعقاب الثورة الأميركية عام 1776 بغية إبعاد مجرميها إلى ويلز الجنوبية الجديدة، ذلك القانون الذي تم تمديده عام 1788. وحسب مقتضيات هذا التشريع قامت بريطانيا بترحيل حوالي 160000 من المحكومين إلى ستراليا بين عامي 1788 و 1868<sup>85</sup>. وفي حين كانت بريطانيا منشغلة في تصدير الفلاحين الإيرلنديين وعمال المناجم والفولاذ الويلزيين والمزارعين الانجليز، كانت أيضا تستقبل دفقا من يهود اوربا الشرقية في نهاية القرن التاسع عشر<sup>86</sup>. إلا أنه على خلاف التجار اليهود اللذين تم استيرادهم سابقا من امستردام، كان يتم زرع هؤلاء المهاجرين اليهود ذوي الدخل المتدني القادمين من اوربا الشرقية كمستوطنين في فلسطين. تلك كانت السياسة التي أنتجت زعماء الصهيونية اليهود مثل فلاديمير جابوتنسكي الذي خدم قيصر روسيا ثم ملك بريطانيا قبل أن يصبح رئيسا للمليشيات الصهيونية في فلسطين خلال فترة الإنتداب البريطاني<sup>87</sup>.

أستثمر جولد في تخطيطه للمستعمرات اليهودية في فلسطين خبراته كما أنه تعلم من العقبة الرئيسية التي واجهها لدى توطينه للمحكومين البريطانيين في استراليا، وتحديد إرادة المستوطنين. لقد أصرّ على أن المخطط الاستعماري يجب أن يأخذ بعين الاعتبار "مشاعر" المستوطنين وكذلك "رغبات" البريطانيين. وكان يرى أن المستعمرات اليهودية في فلسطين سوف "تهدي" أو "تخدر" سوريا والشرق. وبحكم عقليته الاستيطانية لمتعطشة للأرض، زعم جولد بأن 90% من أراضي فلسطين كانت بوارا لا تدرّ ربحا وأنها بانتظار المستوطنين "المتحضرين" ليحولونها إلى أرض منتجة. وربما

كان جولر هو الصهيوني الأول الذي بين وأرسى مفاهيم الخرافة الصهيونية بأن "فلسطين أرض بدون شعب" تنتظر "اليهود، الشعب بدون أرض". يوجز جولر خطته الصهيونية الاستعمارية في العبارات التالية:

إذا ما اختزلت المسألة [تهدئة أو تخدير سوريا] إلى شكلها العملي فإنها تصبح مسألة استيطان [فلسطين]. إذ أن هناك بلدا خصبا تسعة أعشار أراضيها مهجورة. وفي مكان آخر، هناك أناس متحضرون من المرغوب أن يصبح هذا البلد شبه المهجور، وطنا لهم. يتطلب الاستيطان الناجح أمورا ثلاثة لا مفر منها أبدا. احتمال الإستيطان الآمن في المستعمرات - تسهيلات الانتقال إليها - ثم الإرادة، أي التمسك باغتنام هذه الفرص .... وستكون إرادة هذا المستوطن المفترض منقوصة إذا ما قامت على أيّ مبدأ آخر. ليس هناك من بين معتقي المذهب اليهودي والذي يستحق أن يبعث الى فلسطين، من يقبل هذه الهبة المقدمة بهذا الشكل المتقن. لا نستطيع، حتى وإن رغبتنا في ذلك، أن نجبرهم على الإستيطان تحت قوة الإلزام وبالتالي فإنه يتوجب علينا أن نراعي بحذر مشاعرهم ورغباتنا أيضا<sup>88</sup>.

ووفقا لجولر فإنه يتوجب على بريطانيا العظمى أن تحصل على "الحماية وأن توفرها لكل بني اسرائيل الذين يرغبون في الإقامة في فلسطين الخالية من السكان"، وعليها أيضا أن تهيء اليهود لمحطة مستقبلهم بإعلاء شأنهم السياسي في إنجلترا<sup>89</sup>. وقد كان من ضمن هذا السياق السياسي أن ارتقى بنيامين ديزرائيلي (اليهودي المنتصر) من عمله في مضاربات سوق البورصة والصحافة لتبوء منصب رئيس الوزراء البريطاني عام 1868 وفي الاعوام ما بين 1874 - 1880. إلا أن جولر قدّم، من وراء المخطط الكبير، بعض التفاصيل المثيرة للإهتمام حول ما أسماه "تمدين [أو تحضير] فلسطين والشرق بواسطة اليهود". ولعله كان أول من وضع برنامج عمل لنظام "البيشوف" و"الكيبوتز" في المستعمرات اليهودية (كطبعة مستحدثة لنمط "كخيلة" و"اشتتل" في اوربا الشرقية) والذان تم تطبيقهما لاحقا في الأرجنتين وفلسطين. أوصى جولر "بإقامة مستعمرة أو مستعمرات كبيرة بالقدر الذي تضمن فيه الإحترام والتأثير شريطة ألا تكون كبيرة لدرجة تستعصي معها إدارتها فيما يتعلق بالنظام الداخلي وتشغيل الأفراد أو توفير ضرورات الحياة"<sup>90</sup>. أما فيما يتعلق بسكانها فيجب أن يتراوح عدد سكان المستعمرة الواحدة ما بين 700 و 1200 من "الرجال الفعّالين"، مشكّلين مع النساء والأطفال تجمعات تتراوح بين 3000 و 5000 نسمة. وتقام هذه المستعمرات ضمن مسافة 25 ميلا من الطرق البحرية في فلسطين حيث يتسنى لها أن تصدّر منتجاتها وأن تتمتع بحماية القوات البحرية البريطانية والتي كثيرا ما تتواجد على الساحل<sup>91</sup>. أما بالنسبة لأمن المستوطنين، فيقوم

البريطانيون بوضع اليهود تحت حمايتهم كما فعل الفرنسيون والروس حيال الطوائف الفلسطينية التابعة للكنائس الكاثوليكية واليونانية. يجب أن تتشكل المستعمرة من ثلاث فئات من المستوطنين والذين يتمتعون بالحماية وامتيازات امتلاك الأراضي: (1) الأفراد أصحاب رأس المال الذي يفي بحاجاتهم ويتلقى هؤلاء ما لا يتجاوز 300 أكر<sup>3</sup>، (2) ذوي رأس المال الأقل والذي يكفي لتوفير وسائل انتقالهم الى مواقع المستعمرة، هؤلاء يحصلون على ما لا يزيد على 50 أكر، و (3) الأفراد ذوي الإمكانيات الضئيلة والذين سيتلقون نقلا مجانيا مع عائلاتهم وأمتعتهم التي يتم تحديد وزنها، هؤلاء يتلقون ما لا ينوف على 10 أكر.

كما في عهد نابليون، تابعت بريطانيا دفاعها عن سياستها الامبريالية في حماية الوحدة الجغرافية للامبراطورية العثمانية المنهارة والتي شكلت الطرق الحيوية المؤدية الى الهند. فقد انفجرت الأزمة التركية - المصرية في ثلاثينات القرن التاسع عشر واندلعت حرب القرم في الخمسينات من ذلك القرن بسبب المسألة الشرقية ذاتها. كما رفضت بريطانيا عام 1844 مقترحا روسيا كان يقتضي التقاسم المتبادل للامبراطورية التركية: حيث تصبح روسيا حامية للممتلكات التركية الاوربية في منطقة البلقان، في حين تحتفظ إنجلترا بمصر وجزيرة كريت، أما مدينة القلستونطينية فتصبح مدينة حرة "محتلة بشكل مؤقت". وفي أعقاب حرب القرم قام هنري دونانت (ممثل "شركة جنوة لمستعمرات ستيف في شمال إفريقيا وصقلية") بإنشاء "الجمعية العالمية لإحياء الشرق" واقترح منح المستعمرات الزراعية اليهودية الأولى في فلسطين وضعا دبلوماسيا<sup>92</sup>. ومع قدوم الملاحة البخارية (السفن البخارية تعتمد على موانئ متعددة من أجل التزود بالفحم) واكتمال شق قناة السويس، أخذت الصهيونية ومصالح التجارة العالمية تقيم الترابط بين بناء المستودعات والمستوطنات بموازاة الطريق المؤدية إلى الهند والصين من جهة، وبين إقامة الدولة اليهودية في فلسطين من جهة أخرى كما أشار الى ذلك بحث توماس كلارك بعنوان "الهند وفلسطين: أو عودة اليهود من منظور علاقتها مع أقرب طريقا الى الهند". أخذ الصهاينة يقدمون الحجج الزاعمة بأن الدولة اليهودية ستضع إدارة المواصلات البخارية البريطانية في أيادي صديقة بشكل تام<sup>93</sup>. وأضحت هذه الحجة أكثر قدرة على الإقناع حين اقتنى رئيس الوزراء البريطاني (اليهودي المنتصر) بنيامين ديزرائيلي حصصا في شركة قناة السويس بفضل العون المالي الذي قدمته له عائلة روتشيلد (عائلة يهودية تملك امبراطورية مصرفية في لندن).

<sup>3</sup> يساوي الأيكر ما يعادل اربعة آلاف متر مربع - المترجم.

تعاظم الدعم للمسعى البريطاني الصهيوني ولنظرية جولر في "إعلاء الشأن السياسي لليهود" في إنجلترا عندما أصدر جورج اليوت (الأسم المستعار لماري آن افنز، وهي كاتبة غير يهودية اختلقت شخصية روائية يهودية نبيلة) رواية دانيال ديروندا عام 1876 والتي ركزت على الخيال القصصي الانجليزي حيال اليهود<sup>94</sup>. قدمت تلك الرواية لليهود بحلة جديدة على أنهم أبطال وطنيون صالحون أخلاقيون على الرغم من أنهم لم يكونوا مسيحيين مما شكّل تباينا صارخا مع التصور النمطي السابق في اوربا: "قتلة المسيح، مرتدين، مرايين، أجانب دخلاء، ومهاجرين معدمين"<sup>95</sup>. ومرة ثانية، شددت رواية دانيال ديروندا كما فعلت من قبلها كرّاسة مارتن لوثر "يسوع المسيح ولد يهوديا" (1523)، شددت على النزوة التي تقول بأن اليهود العاصرين متحدرون من سلالة بني إسرائيل التوراتيين وأن "ثلاثة أرباع المسيحي يهودية". كما أنها ركزت على فكرة "ضرورة التعويض عن إثم أخلاقي مستحق لليهود"<sup>96</sup>. ويذهب البعض إلى أن رواية ديروندا ولدت في الصهيونية روحا يهودية قومية ودورا نموذجيا شكّل مصدرا لإلهام ثيودورو هرتسل<sup>97</sup>. وتتأسقا مع الدعوات السابقة من قبل الكولونيل تشارلز هنري تشرتشل والمقدم جورج جولر في المطالبة بانخراط اليهود في الحركة الصهيونية، تفتتح ماري آن افنز رواية دانيال ديروندا بالدعوة الى خرافة تأسيسية أو ادعاء كاذب يقصد من ورائه إثارة حماس اليهود بعد محاولات عديدة فشلت في دفعهم إلى الإنخراط في الصهيونية: "لا يستطيع الناس فعل شيء دون التظاهر ببداية"<sup>98</sup>. وما إن أشرفت "الرواية الصهيونية"<sup>99</sup> على خاتمتها حتى اضححت رؤية ديروندا أكثر وضوحا حين قالت المؤلفة على لسانه "إذا ما قدر لي البقاء":

إني لذاذهب الى الشرق للإمام بأوضاع أبناء عرقي في بلدان مختلفة هناك ... إن الفكرة التي تتملكني هي استعادة الوجود السياسي لشعبي، أن أشيد صرح أمتهم من جديد، أن أمنحهم مركزا قوميا، كما فعل الانجليز رغم أنهم أيضا مشتتون على سطح الكرة الأرضية. إنني أعتبر هذه المهمة واجبا: إنني مصمم على الشروع بها ولو بشكل واهن. إنني عازم على أن أنذر حياتي من أجلها. وقد أفلح، على الأقل، بأن أوقف حركة ما في أذهان الآخرين كما تم إيقاظها في ذهني"<sup>100</sup>.

إلا أنه بالرغم من الجهود المتعددة لخلق أو للتحريض على حركة صهيونية يهودية وقيادة يهودية قادرة وراغبة في التعاون على تنفيذ المخططات الاستيطانية في فلسطين التي اقترحتها بريطانيا، فقد ظلت الصهيونية من حيث الجوهر غريبة ودخيلة على جماهير اليهود الاوربيين قبل أن تقدمها بريطانيا في أعقاب اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني

عام 1881 وما تلى ذلك من مذابح ضد يهود اوربا الشرقية وهجراتهم الجماعية إلى القارتين الاميركيتين.

## الخاتمة

على ضوء هذا التحليل يستطيع المرء أن يطمئن إلى الإستنتاج بأن اليهود لم يبتدعوا الصهيونية. بل إن الصهيونية هي التي، بالأحرى، ابتدعت اليهود رغم أنه ليس كل اليهود صهانية كما أنه ليس كل الصهانية يهودا. فقد اهتم البروتستانت في عهد الاصلاح الديني والمرحلة الماركنتيلية باليهود لأنهم وجدوا فيهم نخيرة دينية وسياسية ضد الكاثوليك كما وجدوا فيهم قادة للقطاع الرأسمالي الناشئ والمبني على أساس الفائدة أو الربا. إن كتابات مارتن لوثر الموالية لليهود (1523) وقرار اوليفر كرومول بالسماح لليهود بالعودة الى انجلترا عام 1655، وشبه التهويد الذي ألم بالبيوريتانيين، ليست إلا أمثلة حيّة على ذلك. ومع حلول الثورة الصناعية وعصر الإستتارة الاوروبية، عزز نابليون اعتناق اليهود في محاولة منه للحيولة بينهم وبين حكامهم الاوربيين والعثمانيين كجزء من مخططاته التي باءت بالفشل لتدمير قوة بريطانيا وروسيا وللسيطرة على اوربا. جاء البريطانيون، فيما بعد نابليون، ليعبروا بوضوح عن مجموعة متشابكة من الدوافع الامبريالية والدينية بهدف تكيف المسألة الشرقية للتطابق مع المسألة اليهودية. من الواضح أن هذا كله قد تم قبل ولادة هرتسل (المؤسس المزعوم للصهيونية) عام 1860، وكذلك قبل أن يصبح تشجيع معاداة السامية آلية دافعة للصهيونية. ومع انتقال حماية الصهيونية والوصاية عليها من قبل بريطانيا إلى الولايات المتحدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، فإن الصهيونية لم تزل تشكيلة جيوسياسية (أكثر من كونها واقعا قوميا) تسهل الهيمنة الغربية المتعددة الأطراف على الموقع الاستراتيجي للعالم العربي (المضائق والممرات المائية)، التراث الثقافي (التاريخ القديم والتوراتي)، الموارد الاقتصادية (احتياطي النفط وتعاقبات الأعمال)، وكذلك لإحتواء مخططات التوحيد الكامنة (سواء كانت قومية أو اسلامية). ولعل خير دليل على هذه الاستمرارية، هو الحرب الظالمة التي تشنها الولايات المتحدة وبريطانيا (بالتعاون الكامل مع دول مجلس التعاون الخليجي<sup>٢</sup>) لنزع أسلحة العراق والإستيلاء على موقعه الجغرافي وثروته النفطية والمائية وتراثه الحضاري والديني في حين يتم الحفاظ على أسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية في قلب المنطقة العربية.

<sup>٢</sup> دول مجلس التعاون الخليجي هي: المملكة العربية السعودية، دولة الكويت، مملكة البحرين، دولة قطر، الإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان.



- <sup>1</sup> Israel Ministry of Foreign Affairs. 2002. Facts about Israel. Retrieved October 31, 2002 from <http://www.israel.org/mfa/go.asp?MFAH00080> on the World Wide Web
- <sup>2</sup> Lewis, B. 1986. *Semites and anti-Semites: An inquiry into conflict and prejudice*. New York: W. W. Norton & Company. Pages 68-69.
- <sup>3</sup> Goldmann, N. 1978. Zionist ideology and the reality of Israel. *Foreign Affairs* 57(1):70–82. Page 72.
- <sup>4</sup> Duvernoy, C. 1966. *Le Prince et le prophète*. Jerusalem: Le Département des publications de l'agence juive. Page 122.
- <sup>5</sup> Peretz, M. 1997. Zionism at 100: The God that did not fail. *New Republic* 217(10–11):1–24. Pages 2,8.
- <sup>6</sup> Pounds, N. J. G. (1963). *Political Geography*. New York: McGraw-Hill Book Company, Inc.
- Prescott, J. (1972). *Political Geography*. London: Methuen and Co Ltd.
- Norris, R. E, & Haring, L. L. (1980). *Political Geography*. London: Charles E. Merrill Publishing Company.
- Taylor, P. J. (1985). *Political Geography: World-Economy, Nation-State and Locality*. New York: Longman.
- Wallerstein, I. (1991). *Geopolitics and Geoculture: Essays on the Changing World-System*. New York: Cambridge University Press.
- Goldewska, A. and Smith, N. (1994). *Geography and Empire*. Cambridge USA: Blackwell.
- Glassner, M. I. (1996). *Political Geography*. New York: John Wiley & Sons, Inc.
- Agnew, J. (1997). Ed. *Political Geography: A Reader*. New York: Arnold.
- O'Tuathail, G. (1998). *Rethinking Geopolitics*. New York: Routledge.
- Agnew, J., Mitchell, K., and Toal, G. (2003). Eds. *A Companion to Political Geography*. Malden, MA: Blackwell Publishing.
- Cohen, S. (2003). *Geopolitics of the World System*. New York: Rowman and Littlefield Publishers.
- Cox, K. (2003). *Political Geography: Territory, State and Society*. Malden, MA: Blackwell Publishing.
- <sup>7</sup> Halkin, H. 2002. The return of anti-Semitism. *Commentary* 113(2):30–36.
- <sup>8</sup> BBC News. (2002). *PM's wife 'sorry' in suicide bomb row*. [http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk\\_politics/2051372.stm](http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk_politics/2051372.stm)
- Billy Graham apologizes to Jews for his remarks on Nixon tapes. 2002. *The New York Times*. 3 March, Late Edition. Retrieved October 25, from <http://www.nytimes.com> on the World Wide Web
- CNN. (2002). *Ted Turner speaks out on Mideast conflict*. <http://www.cnn.com/2002/US/06/18/ted.turner.terrorists/index.html>
- CNN. (2003). *Moran steps down from leadership post: Lawmaker under fire for saying Jews push war with Iraq*. Retrieved March 15, 2003, from <http://www.cnn.com/2003/ALLPOLITICS/03/14/moran.remarks/index.html> on the World Wide Web.
- <sup>9</sup> AbuKhalil, A. 2002. *Bin Laden, Islam and America's New "War on Terrorism"*. New York: Seven Stories Press. Page 18.
- Lewis, B. 2002. Cleveland E. Dodge Professor of Near Eastern Studies, Emeritus. Retrieved October 23, from <http://www.princeton.edu/~nes/profiles/Lewis.htm> on the World Wide Web.
- <sup>10</sup> Klier, J. D. 1986. *Russia gathers her Jews: The origins of the "Jewish Question" in Russia, 1772–1825*. Dekalb, IL: Northern Illinois University Press. Page 9.
- Lewis, B. 1986. *Semites and anti-Semites: An inquiry into conflict and prejudice*. New York: W. W. Norton & Company. Page 59.
- <sup>11</sup> Sharif, R. 1983. *Non-Jewish Zionism: Its roots in Western history*. London: Zed Press. Page 10.
- <sup>12</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America.
- Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books.
- <sup>13</sup> Dunlop, D. M. (1954). *The History of the Jewish Khazars*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Koestler, A. (1970). *The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire and its Heritage*. New York: Random House.
- Patai, R. (1975). *The Myth of the Jewish Race*. New York: Scriber.
- Shakir, A. (1981). *Dawlat al-Khazar al-jadidah aw Isra'il*. Edition: al-Tab'ah 1. Bayrut: Dar Misbah al-Fikr.

- 
- Salibi, K. (1985). *The Bible Came from Arabia*. London: Jonathan Cape.
- Salibi, K. (1988a). *Secrets of the Bible People*. London: Saqi books.
- Salibi, K. (1988b). *Conspiracy in Jerusalem: The Hidden Origins of Jesus*. London: I. B. Tauris & Co. Ltd Publishers.
- Bradley, M. 1992. *Chosen People from the Caucasus: Jewish Origins, Delusions, Deceptions and Historical Role in the Slave Trade, Genocide and Cultural Colonization*. Chicago: Third World Press.
- Wexler, P. (1993). *The Ashkenazic Jews: A Slavo-Turkic People in Search of a Jewish Identity*. Columbus, Ohio: Slavica Publishers.
- Wexler, P. (1996). *The Non-Jewish Origins of the Sephardic Jews*. New York: University of New York Press.
- Wexler, P. (2002). *Two-tiered Relexification in Yiddish: Jews, Sorbs, Khazars, and the Kiev-Polesian Dialect*. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Rice, M. (1994). *False Inheritance: Israel in Palestine and the Search for a Solution*. London: Kegan Paul International.
- <sup>14</sup> Luther, Martin. 1971a. *The Christian in Society II*, ed. Walther Sherman. Vol. 45 of Luther's Works, ed. Helmut T. Lehmann. Philadelphia: Muhlenberg Press. Pages 200-201.
- <sup>15</sup> Holmio, A. K. E. 1949. *The Lutheran Reformation and the Jews: The birth of the Protestant Jewish missions*. Hancock, MI: Finnish Lutheran Book Concern. Pages 108, 157.
- <sup>16</sup> Putnam, B. H. 1908. *The enforcement of the Statutes of Labourers during the first decade after the Black Death, 1349–1359*. New York: Columbia University. Pages 10-11.
- <sup>17</sup> Luther, Martin. 1971b. *The Christian in Society IV*, ed. Franklin Sherman. Vol. 47 of Luther's Works, ed. Helmut T. Lehmann. Philadelphia: Fortress Press. Pages 140, 146.
- <sup>18</sup> Godbey, A. H. 1930. *The lost tribes: A myth*. Durham, NC: Duke University Press.
- <sup>19</sup> Shahak, I., and Mezvinsky, N. 1999. *Jewish fundamentalism in Israel*. London: Pluto Press. Pages 11, 62.
- Wade, N. 2002. In DNA, new clues to Jewish roots. *The New York Times*, 14 May.
- <sup>20</sup> Milman, H. H. 1866a. *The History of the Jews: From the Earliest Period down to Modern Times*. Volume 1. London: John Murray. Page 20.
- <sup>21</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books.
- <sup>22</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books.
- Duvernoy, C. 1966. *Le Prince et le prophète*. Jerusalem: Le Département des publications de l'agence juive.
- <sup>23</sup> Freedman, S. G. 2002. Evangelicals, Jews build bridges. *USA Today*, May 7. Retrieved October 18, from <http://www.usatoday.com/news/comment/2002/05/08/ncguest1.htm> on the World Wide Web.
- <sup>24</sup> Shahak, I., and Mezvinsky, N. 1999. *Jewish fundamentalism in Israel*. London: Pluto Press. Page 154.
- <sup>25</sup> Simon Wiesenthal Center. 2001. *The new lexicon of hate: The changing tactics, language and symbols of America's extremists*. A Simon Wiesenthal Center and Snider Social Action Institute report. 2nd Rev. Ed. Los Angeles: Simon Wiesenthal Center.
- Duke, D. 2002. *Jewish Supremacism: My Awakening on the Jewish Question*. A New e-Book. Retrieved October 25, from <http://www.davidduke.com/supremacism/preface.shtml> on the World Wide Web.
- <sup>26</sup> Beit-Hallahmi, B. 1993. *Original sins: Reflections on the history of Zionism and Israel*. New York: Olive Branch Press. Page 188.
- <sup>27</sup> Israel Ministry of Foreign Affairs. 2002. *Facts about Israel*. Retrieved October 31, 2002 from <http://www.israel.org/mfa/go.asp?MFAH00080> on the World Wide Web.
- <sup>28</sup> Hine, E. 1999. *Identity of the ten lost tribes of Israel with the Anglo-Celto-Saxons*. (Abridged). CPA Books. Pages 13-14, 62.
- <sup>29</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America.
- <sup>30</sup> Carmichael, J. 1992. *The Satanizing of the Jews: Origin and development of mystical anti-Semitism*. New York: Fromm International Publishing Corporation. Page 91.

- 
- <sup>31</sup> Zangwill, I. 1904. *The East African question: Zionism and England's offer*. New York: The Maccabean Publishing Company. Page 54.
- <sup>32</sup> Webster's *New Encyclopedic Dictionary*. 1993. New York: BD & L. Page 1529.
- Weber, M. 1956. *The Protestant ethic and the spirit of capitalism*. Trans. Talcott Parsons. New York: Charles Scribner's Sons. Page 157.
- <sup>33</sup> Milman, H. H. 1866b. *The History of the Jews: From the Earliest Period down to Modern Times*. Vol. 3. London: John Murray. Page 399.
- <sup>34</sup> Milman, H. H. 1866b. *The History of the Jews: From the Earliest Period down to Modern Times*. Vol. 3. London: John Murray. Page 358.
- <sup>35</sup> Anglo-Jewish Association and Russo-Jewish Committee. 1933. *Reprint of reports of the public meeting at the Mansion House on Wednesday, February 1st 1882 and of the public meeting held at the Guildhall, London on Wednesday, Dec. 10th 1890: Concerning the treatment of the Jews in Russia*. London: Joint Foreign Committee. Page 101.
- <sup>36</sup> Barton, N. 1985. *The world: A television history: The West and the wider world 1500-1800*. Network Television/Goldcrest Television.
- <sup>37</sup> Marlowe, J. 1972. *Cecil Rhodes: The Anatomy of Empire*. London: Paul Elek.
- Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books.
- <sup>38</sup> Roberts, J. M. 1995. *The Penguin History of the World*. New York: Penguin. Page 635.
- <sup>39</sup> Sharif, R. 1983. *Non-Jewish Zionism: Its roots in Western history*. London: Zed Press.
- <sup>40</sup> Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press.
- <sup>41</sup> Glotzer, S. 1997. *Napoleon, the Jews and the constitution of modern citizenship in early nineteenth century France*. Ann Arbor, MI: UMI Dissertation Services. Pages 28-29.
- <sup>42</sup> Milman, H. H. 1866b. *The History of the Jews: From the Earliest Period down to Modern Times*. Vol. 3. London: John Murray. Page 412.
- <sup>43</sup> Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press. Pages 182-187.
- <sup>44</sup> Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press. Page 33.
- <sup>45</sup> Bonaparte, Commander in Chief, to the people of Cairo. 1798. *The Times*, 30 October.
- <sup>46</sup> Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press. Page 42.
- <sup>47</sup> Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press. Page 55.
- <sup>48</sup> Duvernoy, C. 1966. *Le Prince et le prophète*. Jerusalem: Le Département des publications de l'agence juive.
- <sup>49</sup> Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press. Page 82.
- <sup>50</sup> Milman, H. H. 1866b. *The History of the Jews: From the Earliest Period down to Modern Times*. Vol. 3. London: John Murray. Pages 407-408.
- <sup>51</sup> Klier, J. D. 1986. *Russia gathers her Jews: The origins of the "Jewish Question" in Russia, 1772-1825*. Dekalb, IL: Northern Illinois University Press.
- Crawford, Alexander Crawford Lindsay (Lord Lindsay). 1838. Letters on Egypt, Edom, and the Holy Land. *The Quarterly Review* 125 (Dec.):166-92.
- Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press.
- <sup>52</sup> Herzl, T. [1896] 1946. The Jewish state. Trans. by Sylvie D'Avigdor. American Zionist Emergency Council Ed. Retrieved October 19, from <http://www.geocities.com/Vienna/6640/zion/judenstaadt.html> on the World Wide Web.
- Jewish Colonization Association. 1942. *Jewish Colonization Association: Its Work in the Argentine Republic, 1891-1941*. Buenos Aires: Ayucacho.
- Pinsker, L. 1911. Auto-emancipation. Rep. in Ahad Ha'am 1911. Pinsker and his Brochure. 2nd. Ed. Trans. Henrietta Szold. New York: Federation of American Zionists.
- World Jewish Congress. 2001. Jewish Communities of the World. Retrieved October 19, from [http://www.wjc.org.il/communities/jewish\\_communities\\_of\\_the\\_world/chartmap.html](http://www.wjc.org.il/communities/jewish_communities_of_the_world/chartmap.html) on the World Wide Web.

- 
- . 2001. The First Zionist Congress and the Basel Program. Retrieved October 19, from <http://www.wzo.org.il/home/movement/first.htm> on the World Wide Web.
- <sup>53</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America. Page 40.
- <sup>54</sup> Hess, M. 1917. *Rome and Jerusalem: A study in Jewish nationalism*. Trans. with Intro. and Notes by Meyer Waxman. New York: Bloch Publishing Company. Page 22.
- <sup>55</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 228.
- <sup>56</sup> Sokolov, N. 1935. *Hibbath Zion (the love for Zion) Stating the principles and activities of the Pre-Herzl Palestinophile (Hovevey-Zion=Lovers of Zion) Movement in Religion, Literature and Life about 1840–1897*. Jerusalem: Rubin Press. Page 66.
- <sup>57</sup> Hess, M. 1917. *Rome and Jerusalem: A study in Jewish nationalism*. Trans. with Intro. and Notes by Meyer Waxman. New York: Bloch Publishing Company. Page 167.
- <sup>58</sup> Carmichael, J. 1992. *The Satanizing of the Jews: Origin and development of mystical anti-Semitism*. New York: Fromm International Publishing Corporation. Page 96.
- Bureau des Archives Israélites de France. 1842. *Archives Israélites de France 1840–1847*. Paris: Bureau des Archives Israélites de France. Page 759.
- Statistics of Prussian Jews. 1885. *The New York Times*, 6 January. Page 2.
- Jewish Colonization Association. 1908. *Recueil de matériaux sur la situation économique des Israélites de Russie, d'après l'enquête de la Jewish Colonization Association*. Tome 2 de La Grande industrie. misère et bienfaisance. instruction. Paris: F. Alcan. Tableau 1.
- <sup>59</sup> Restoration of the Jews. 1840b. *The Times*, 17 August.
- <sup>60</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 191.
- <sup>61</sup> Hechler, W. H. 1883. *The Jerusalem bishopric documents*. Arranged and supplemented by the Rev. Professor William H. Hechler, British Chaplain at Stockholm. London: Trubner and Co.
- <sup>62</sup> Crawford, Alexander Crawford Lindsay (Lord Lindsay). 1838. Letters on Egypt, Edom, and the Holy Land. *The Quarterly Review* 125 (Dec.):188–190.
- <sup>63</sup> Restoration of the Jews. 1840c. *The Times*, 26 August.
- <sup>64</sup> Restoration of the Jews. 1840a. *The Times*, 9 March.
- <sup>65</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America. Page 31.
- <sup>66</sup> Restoration of the Jews. 1840c. *The Times*, 26 August.
- <sup>67</sup> Restoration of the Jews. 1840c. *The Times*, 26 August.
- <sup>68</sup> The State and Prospects of the Jews. 1839. *The Times*, 24 January.
- Crawford, Alexander Crawford Lindsay (Lord Lindsay). 1838. Letters on Egypt, Edom, and the Holy Land. *The Quarterly Review* 125 (Dec.):188–190.
- <sup>69</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 192.
- <sup>70</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 192.
- <sup>71</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America. Page 35.
- <sup>72</sup> Robinson, E. 1977. *Biblical Researches in Palestine: Mount Sinai and Arabia Petra*. Vol. I. New York: Arno Press
- <sup>73</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 191.
- <sup>74</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 333.
- <sup>75</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America. Page 35.

- 
- <sup>76</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America. Page 36.
- <sup>77</sup> Hyamson, A. M. 1917. *British projects for the restoration of the Jews*. The British Palestine Committee, Publication No. 1. Leeds : Petty & Sons.
- <sup>78</sup> Crawford, Alexander Crawford Lindsay (Lord Lindsay). 1838. Letters on Egypt, Edom, and the Holy Land. *The Quarterly Review* 125 (Dec.):188–190. Page 185.
- <sup>79</sup> Crawford, Alexander Crawford Lindsay (Lord Lindsay). 1838. Letters on Egypt, Edom, and the Holy Land. *The Quarterly Review* 125 (Dec.):188–190. Page 184.
- <sup>80</sup> Hechler, W. H. 1883. *The Jerusalem bishopric documents*. Arranged and supplemented by the Rev. Professor William H. Hechler, British Chaplain at Stockholm. London: Trubner and Co.
- <sup>81</sup> Kobler, F. 1975. *Napoleon and the Jews*. Jerusalem: Massada Press.
- <sup>82</sup> Price, A. G. 1929. *Founders and Pioneers of South Australia*. Adelaide: F. W. Preece and Sons. Page 160.
- <sup>83</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America. Page 37.
- Price, A. G. 1929. *Founders and Pioneers of South Australia*. Adelaide: F. W. Preece and Sons. Page 164.
- <sup>84</sup> Shaw, A. G. L. 1997. *Convicts and the colonies: A study of penal transportation from Great Britain and Ireland to Australia and other parts of the British Empire*. Victoria, Australia: Melbourne University Press. Page 17.
- <sup>85</sup> Shaw, A. G. L. 1997. *Convicts and the colonies: A study of penal transportation from Great Britain and Ireland to Australia and other parts of the British Empire*. Victoria, Australia: Melbourne University Press.
- <sup>86</sup> Roberts, J. M. 1995. *The Penguin History of the World*. New York: Penguin. Pages 768-769.
- <sup>87</sup> Duvernoy, C. 1966. *Le Prince et le prophète*. Jerusalem: Le Département des publications de l'agence juive. Page 136.
- <sup>88</sup> Gawler, G. 1845. *Tranquilization of Syria and the East: Observations and practical suggestions, in furtherance of the establishment of Jewish Colonies in Palestine, the most sober and sensible remedy for the miseries of Asiatic Turkey*. London: T. & W. Boone. Pages 8-9.
- <sup>89</sup> Gawler, G. 1848. *Organised Special Constables: A Very Efficient Bulwark in this Period of Serious Danger against Internal Anarchy and Foreign Invasion, with Further Remarks upon the Present Duties of Great Britain*. London: T. & W. Boone. Page 25.
- <sup>90</sup> Gawler, G. 1845. *Tranquilization of Syria and the East: Observations and practical suggestions, in furtherance of the establishment of Jewish Colonies in Palestine, the most sober and sensible remedy for the miseries of Asiatic Turkey*. London: T. & W. Boone. Page 12.
- <sup>91</sup> Gawler, G. 1845. *Tranquilization of Syria and the East: Observations and practical suggestions, in furtherance of the establishment of Jewish Colonies in Palestine, the most sober and sensible remedy for the miseries of Asiatic Turkey*. London: T. & W. Boone. Pages 16-17.
- <sup>92</sup> Duvernoy, C. 1966. *Le Prince et le prophète*. Jerusalem: Le Département des publications de l'agence juive. Page 28.
- <sup>93</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 214, 216, 254.
- Hess, M. 1917. *Rome and Jerusalem: A study in Jewish nationalism*. Trans. with Intro. and Notes by Meyer Waxman. New York: Bloch Publishing Company. Page 260.
- <sup>94</sup> Eliot, G. 1900. *The Writings of George Eliot*. Boston: Little Brown.
- <sup>95</sup> Epstein, L. J. 1984. *Zion's call: Christian Contributions to the origins and development of Israel*. New York: University Press of America. Page 47.
- <sup>96</sup> Tuchman, B. W. 1984. *Bible and sword: England and Palestine from the bronze age to Balfour*. New York: Ballantine Books. Page 237.
- <sup>97</sup> Sokolov, N. 1935. *Hibbath Zion (the love for Zion) Stating the principles and activities of the Pre-Herzl Palestinophile (Hovevey-Zion=Lovers of Zion) Movement in Religion, Literature and Life about 1840–1897*. Jerusalem: Rubin Press. Page 107.
- <sup>98</sup> Eliot, G. 1961. *Daniel Deronda*. New York: Torchbooks.

---

<sup>99</sup> Leavis, F. R. 1960. George Eliot's Zionist Novel. *Commentary* 30(4):317-25.

<sup>100</sup> Eliot, G. 1876. *Daniel Deronda*. Retrieved October 26, 2002, from <http://www.lang.nagoya-u.ac.jp/~matsuoka/Eliot-Deronda.html> on the World Wide Web.

Eliot, G. 1961. *Daniel Deronda*. New York: Torchbooks. Page 606.